

كتب الفراشة - القِصَص العالميّة

الشَّبَابُ



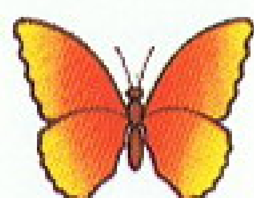
كتب الفراشة - القِصص العالميّة

الشَّبابُ



أعادَ حكايتها : الدكتورُ ألبير مُطْلَق

عَن قصّةِ جُوزف كُونْراد



مَكتبَة لبْنَان ناشِرُون

مَكتبَة لبنَان نَاشِرُون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
وُكلاء وَمُوَزِّعون في جميع أنحاء العالَم

الطبعَة الأولى ١٩٩٤
رقم الكتاب 01 C 196810
طُبِعَ في لبنَان



مقدّمة

«**الشَّباب**» هِيَ قِصَّةُ بَحّارٍ شابٍّ يَقومُ بِرِحْلَتِهِ الأُولى إلى الشَّرْقِ الأَقْصى عَلى مَتْنِ سَفينَةٍ تِجارِيَّةٍ. تَصِفُ الرِّوايَةُ مَشاعِرَ وآمالَ الفَتى مارْلو وهُوَ يَنْتَظِرُ إقْلاعَ السَّفينَةِ إلى تِلْكَ الأَماكِنِ البَعيدَةِ الغَريبَةِ. ونَتَعَرَّفُ إلى القُبْطانِ العَجوزِ المُتَعَلِّقِ بِسَفينَتِهِ القَديمَةِ، الَّتي بَرَزَتْ أَمامَها سِلْسِلَةٌ مِنَ العَقَباتِ قَبْلَ أَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ الانْطِلاقِ، أَخيرًا، نَحْوَ المُحيطِ الهِنْدِيِّ، ووُجْهَتُها النِّهائِيَّةُ بانْكوك.

تُواجِهُ البَحّارَةَ، خِلالَ الرِّحْلَةِ، مَصاعِبُ كَثيرَةٌ: كانَ عَلَيْهِم الاقْتِناعُ بِالقَليلِ مِنَ الطَّعامِ والماءِ وتَحَمُّلُ أَحْداثٍ طارِئَةٍ تُهَدِّدُ حَياتَهُمْ، فَكَأَنَّهُمْ كانوا في امْتِحانٍ مُتَواصِلٍ لِصَلابَةِ عَزيمَتِهِمْ وقُدْرَتِهِمْ عَلى التَّحَمُّلِ. وتَبْرُزُ أَمامَنا الأَسْئِلَةُ مُتَلاحِقَةً: هَلْ سَيَظَلّونَ في سَفينَتِهِم المُهَدَّدَةِ بِالغَرَقِ، أَمْ سَيَهْجُرونَها طَلَبًا لِلسَّلامَةِ؟ هَلْ سَيَتَعاوَنونَ فيما بَيْنَهُمْ أَمْ سَيَسْعى كُلٌّ مِنْهُمْ لِلنَّجاةِ بِنَفْسِهِ؟ وهَلْ سَيَتَغَلَّبُ لَدَيْهِم الأَمَلُ والرَّجاءُ عَلى اليَأْسِ والقُنوطِ؟

ولا تَكْتَفي الرِّوايَةُ بِدِراسَةِ عَقْلِيَّةِ ونَفْسِيَّةِ البَحّارَةِ فَحَسْبُ، فَفيها تَعَمُّقٌ بِدِراسَةِ شَخْصِيَّةِ مارْلو وتَطَوُّرِها. فَهُوَ أَصْغَرُ الضُّبّاطِ سِنًّا، وقَلْبُهُ الشّابُّ المُنْدَفِعُ عامِرٌ بِالآمالِ العِظامِ وبِحُبِّ الحَياةِ؛ وهٰذا ما يَجْعَلُهُ في تَعارُضٍ دائِمٍ مَعَ آراءِ غَيْرِهِ مِمَّنْ هُمْ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا. وراوِيَةُ القِصَّةِ هُوَ مارْلو نَفْسُهُ،

عِنْدَما أَصْبَحَ عَجوزًا. لِذا نَراهُ يَسْتَعيدُ سِنيهِ الغابِرَةَ في البَحْرِ بِحَنينٍ وشَغَفٍ مُعْتَبِرًا إِيّاها أَجْمَلَ أَيّامِ حَياتِهِ.

يَمْتازُ أُسْلوبُ السَّرْدِ في «**الشَّباب**» بِالواقِعِيَّةِ الحَميمَةِ والحَيَوِيَّةِ المُعَبِّرَةِ عَنْ كُلِّ تَفاصيلِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ الصَّعْبَةِ. ومِنَ الصُّوَرِ المُثيرَةِ، مَثَلًا، مَشْهَدُ الدَّمارِ والخَرابِ بَعْدَ حُدوثِ الانْفِجارِ المُدَوِّي عَلى مَتْنِ السَّفينَةِ، وتِلْكَ اللَّحْظَةُ الَّتي تَوارَتْ فيها السَّفينَةُ المُلْتَهِبَةُ تَحْتَ الأَمْواجِ في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

ولَعَلَّ بَراعَةَ جوزف كُونْراد في نَقْلِ الصُّوَرِ الرّائِعَةِ وإِثارَةِ العاطِفَةِ تَعودُ إِلى خِبْرَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ في حَياةِ البَحْرِ. فَهُوَ كانَ قَدْ تَرَكَ مَوْطِنَهُ وهُوَ في السّابِعَةَ عَشْرَةَ، وقَضى زُهاءَ عِشْرينَ سَنَةً يَعْمَلُ في البَحْرِ، ثُمَّ جاءَ عامَ ١٨٩٤ إِلى إِنْكِلْترا حَيْثُ اسْتَقَرَّ وبَدَأَ بِالكِتابَةِ. كانَ كُونْراد، كَالبَحّارِ مارْلو وكَأَبْناءِ العَصْرِ الفِكْتوريِّ عُمومًا، شَغوفًا بِالبَحْرِ وبِالمِلاحَةِ إِلى الأَماكِنِ القَصِيَّةِ. وقِصَّةُ البَحّارِ مارْلو تَحْمِلُ كَثيرًا مِنْ سِماتِ حَياةِ كُونْراد نَفْسِهِ، وهٰذا ما جَعَلَها فائِقَةَ الإِيحاءِ بالِغَةَ التَّأْثيرِ.



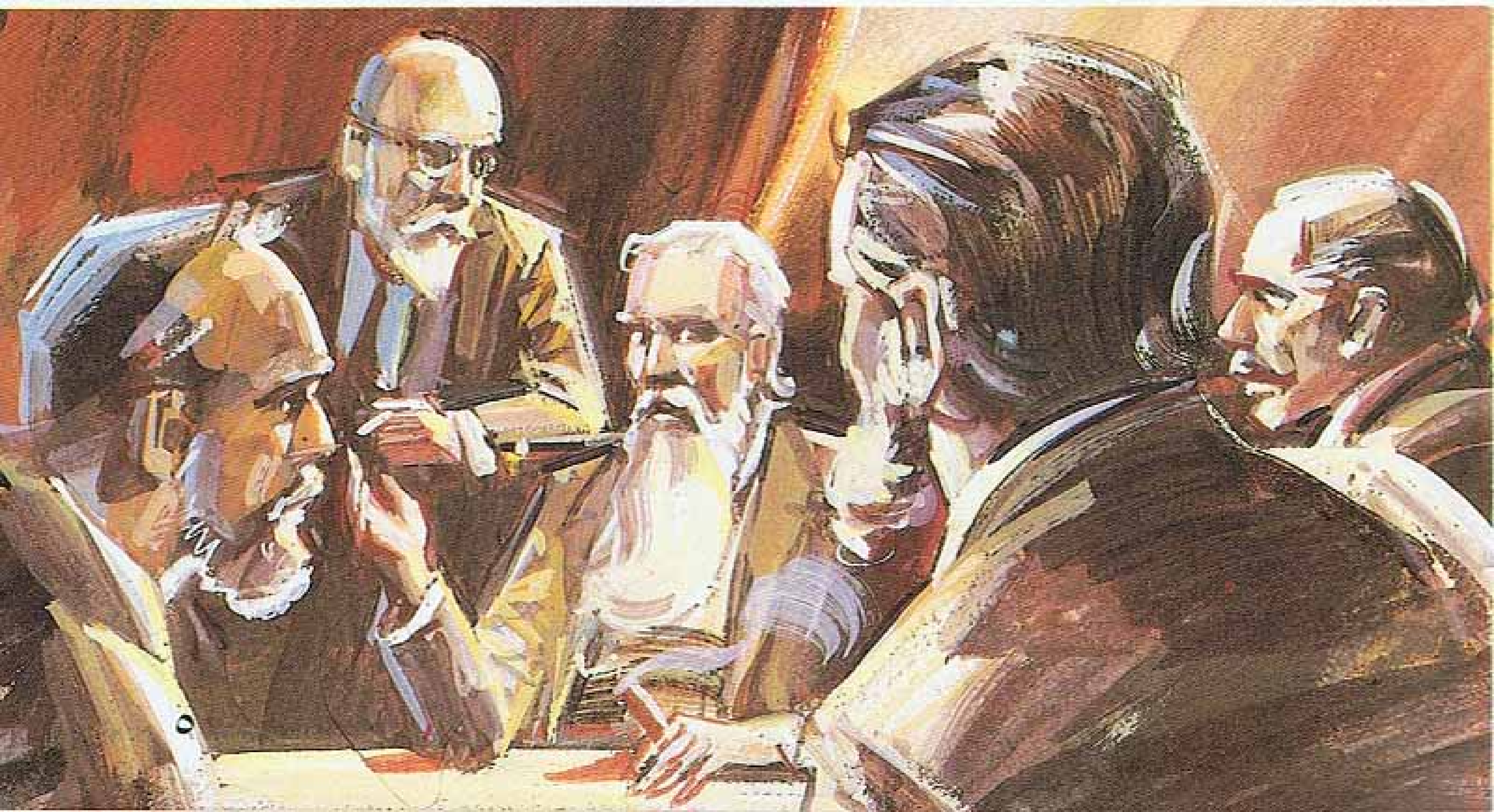
الشَّـــبابُ

كُنّا خَمْسَةً مِنَ الأَصْحابِ. إِجْتَمَعْنا حَوْلَ طاوِلَةٍ فَخْمَةٍ لَمّاعَةٍ تَعْكِسُ وُجوهَنا ، ورُحْنا نَتَسامَرُ ونَسْتَرْجِعُ الذِّكْرَياتِ.

كانَ الأَوَّلُ مُديرًا في إِحْدى الشَّرِكاتِ التِّجارِيَّةِ الكَبيرَةِ ، والثّاني مُحاسِبًا خَدَمَ في البَحْرِ سَنَواتٍ ، والثّالِثُ مُحامِيًا مَسْؤولًا في مَصْلَحَةِ البَريدِ ، أَيّامَ كانَ البَريدُ يُحْمَلُ عَبْرَ البِحارِ في مَراكِبَ شِراعِيَّةٍ تَصِلُ حَتّى بَحْرِ الصّينِ. أَمّا الرّابِعُ والخامِسُ فكانا أنا ومارْلو.

وكانَ ما جَمَعَنا هو أَنّنا ، نَحْنُ الخَمْسَةَ ، بَدَأْنا حَياتَنا في الأَسْفارِ التِّجارِيَّةِ ، لِذا كانَتْ تَرْبِطُ بَيْنَنا رابِطَةُ البَحْرِ القَوِيَّةُ وتَجْمَعُنا العاطِفَةُ الصّادِقَةُ الّتي يَكُنُّها البَحّارَةُ المُحْتَرِفونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. ولا يَعْرِفُ هٰذِهِ الرّابِطَةَ أُولٰئِكَ الّذينَ يَقودونَ اليُخوتَ مُتَنَزِّهينَ ، أو أُولٰئِكَ الّذين يَجوبونَ البِحارَ في سُفُنِ السِّياحَةِ ، أَيًّا كانَتْ حَماسَتُهُمْ. فالبَحْرُ لِلهُواةِ لَيْسَ إِلّا وَسيلَةَ تَسْلِيَةٍ في الحَياةِ ، أَمّا لِلبَحّارَةِ المُحْتَرِفينَ ، فالبَحْرُ هو الحَياةُ.

وفي جَوِّ الذِّكْرَياتِ ذاكَ رُحْنا نُصْغي إلى إِحْدى قِصَصِ البَحْرِ المُثيرَةِ يَرْويها لنا مارْلو:



نَعَمْ لَقَدْ عَرَفْتُ بِحارَ الشَّرْقِ. لٰكِنَّ الرِّحْلَةَ الأولى إلى تِلْكَ البِحارِ كانَتْ أَشَدَّ الرِّحْلاتِ أَثَرًا في نَفْسي. فَقَدْ عَمِلْتُ فيها ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، ضابِطًا ثانيًا في البَحْرِ ، كما وَجَدْتُ نَفْسي فيها قائِدًا لِأَحَدِ الزَّوارِقِ.

ولا بُدَّ مِنَ الاعْتِرافِ أَنّه كانَ على قُبْطانِ السَّفينَةِ أن يَنْتَظِرَ طَويلًا قَبْلَ أن يَنالَ شَرَفَ القِيادَةِ. كانَ قُبْطانُنا في السِّتّينَ من عُمْرِهِ. وكانَ رَجُلًا ضَئيلَ الجِسْمِ ذا ظَهْرٍ عَريضٍ مَحْنِيٍّ وكَتِفَيْنِ مُقَوَّسَتَيْنِ وساقٍ أَشَدَّ تَقَوُّسًا مِنَ الأُخْرى. وكانَ وَجْهُهُ أَشْبَهَ بِكَسّارَةِ البُنْدُقِ ، فَقَدْ بَدا ذَقَنُهُ وأَنْفُهُ وكأَنَّهُما يَسْعَيانِ لِلاجْتِماعِ مَعًا فَوْقَ فَمِهِ الغارِقِ. وكانَ يُبْرِزُ سِماتِهِ تِلْكَ شَعْرٌ رَماديٌّ زَغِبٌ. أَمّا عَيْناهُ فكانَتا زَرْقاوَيْنِ ، يُدْهِشُكَ فيهِما أَنَّهُما تُشِعّانِ في ذٰلِكَ الوَجْهِ العَجوزِ كما تُشِعُّ عُيونُ الأَطْفالِ.

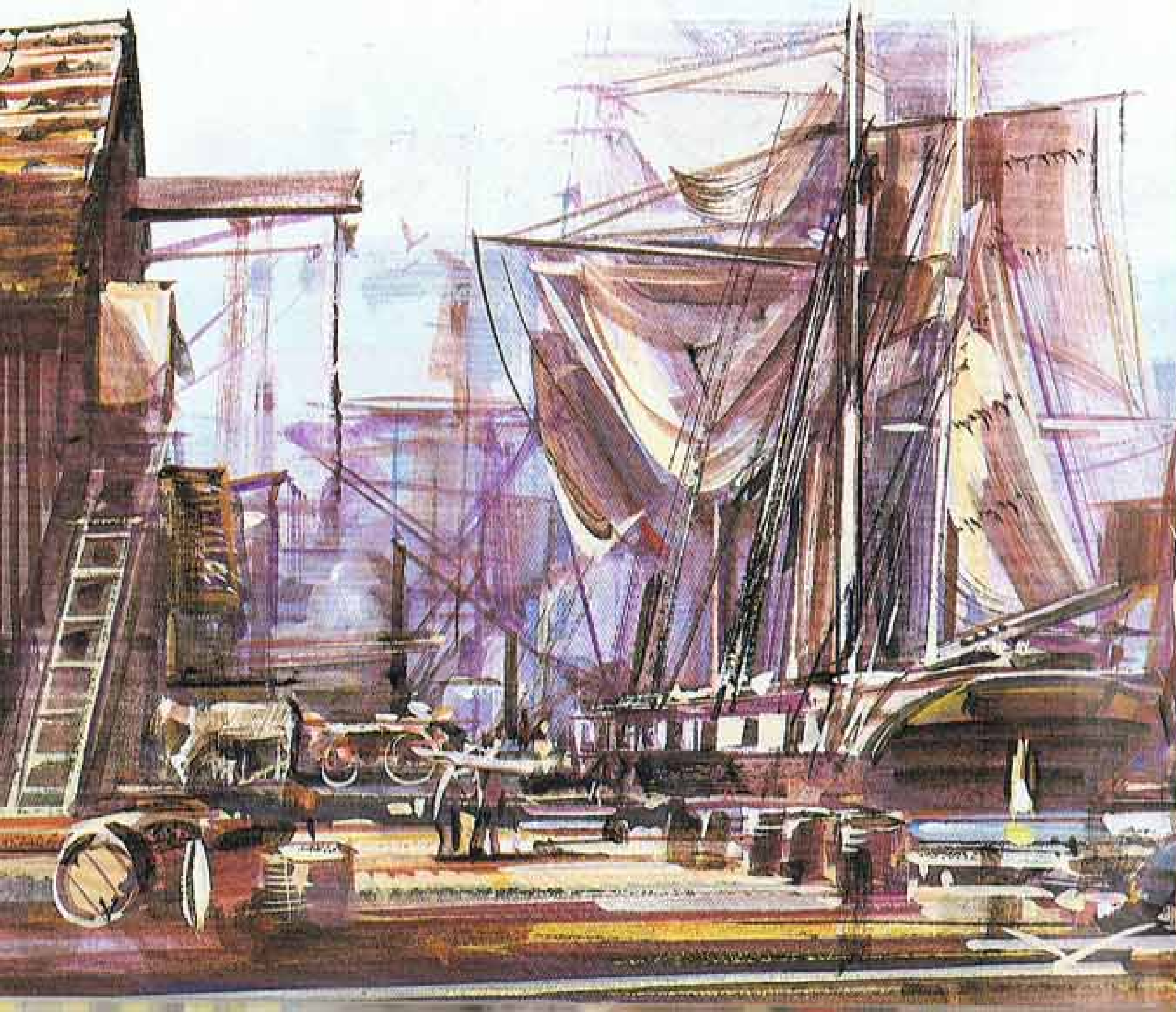


لم أَعْرِفْ كَيْفَ قَبِلَ بي في عِدادِ بَحّارَتِهِ. فقد كُنْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ ضابِطًا ثالِثًا في إِحْدى سُفُنِ الشَّحْنِ الكَبيرَةِ السَّريعَةِ. وكانَ هو يَنْظُرُ إلى تِلْكَ السُّفُنِ نَظْرَةَ شَكٍّ ويَعْتَبِرُها أَرِسْتُقْراطِيَّةً مُتَعالِيَةً.

قالَ لي : «تَعْرِفُ أنّ عَلَيْكَ في هٰذِهِ السَّفينَةِ أن تَعْمَلَ.»

أَجَبْتُهُ أنّه كانَ عَلَيَّ أنْ أَعْمَلَ في كُلِّ سَفينَةٍ خَدَمْتُ فيها.

قالَ : «لٰكِنَّ الوَضْعَ مُخْتَلِفٌ في سَفينَتي. على أَيِّ حالٍ ، تَبْدو لي شابًّا نَشيطًا ، اِلْتَحِقْ غَدًا بِالسَّفينَةِ.»



الْتحقْتُ في اليَوْمِ التّالي بِالسَّفينَةِ. حدَثَ ذٰلِكَ قَبْلَ اثْنَيْنِ وعِشْرينَ عامًا ، وكُنْتُ في العِشْرينَ من عُمْري آنَذاكَ. لم أَعْرِفْ في حَياتي سَعادَةً كَتِلْكَ الّتي عَرَفْتُها في ذٰلِكَ اليَوْمِ. تَخَيَّلوا ! الضّابِطُ الثّاني ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ في حَياتي – إنّها مَسْؤولِيَّةٌ خَطيرَةٌ.

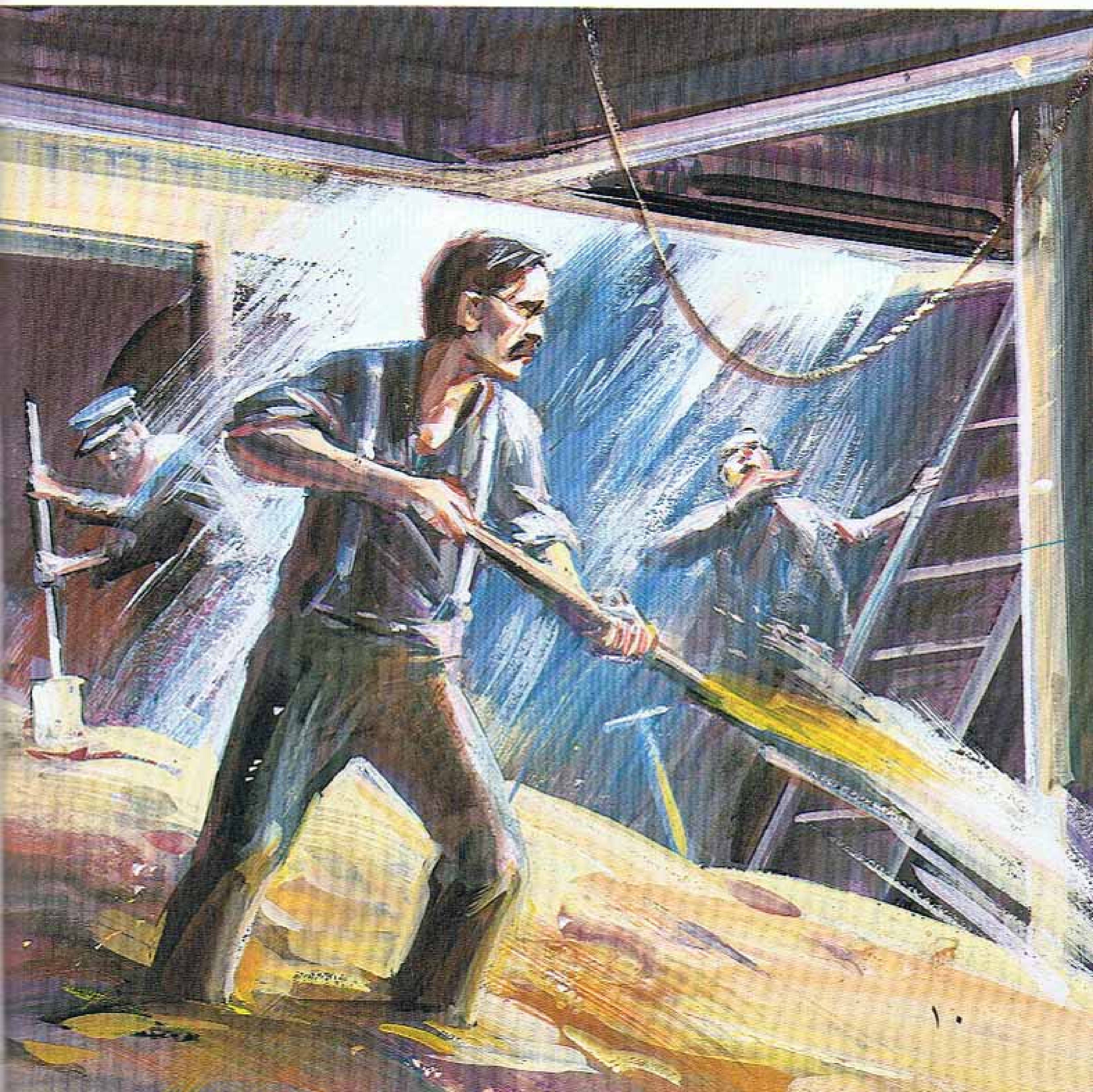
تَفَحَّصَني الضّابِطُ الأَوَّلُ مَلِيًّا. كانَ عَجوزًا أَعْوَجَ الأَنْفِ أَبْيَضَ اللِّحْيَةِ ، اسْمُهُ ماهون. وكانَ ماهون ذا اتِّصالاتٍ واسِعَةٍ بِشَرِكاتِ البَحْرِ وذا خِبْرَةٍ ونَشاطٍ ، لٰكِنَّ سوءَ الطّالِعِ لازَمَهُ طَوالَ حَياتِهِ البَحْرِيَّةِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ تَجاوُزَ الرُّتْبَةِ الّتي وَصَلَ إلَيْها.

وكانَتِ السَّفينَةُ عَتيقَةً. تُرِكَتْ دونَ إبْحارٍ أو صِيانَةٍ سَنَواتٍ ، فَتَخَيَّلوا كَيْفَ كانَ حالُها. لم تَكُنْ في الواقِعِ إلّا كُتْلَةً مِنَ الصَّدَإِ والغُبارِ والوَسَخِ والسُّخامِ.

بَدا الأَمْرُ لي كَالانْتِقالِ من قَصْرٍ عَظيمٍ إلى كوخٍ مُتَهَدِّمٍ. كانَتْ تَزِنُ نَحْوَ أَرْبَعِمِئَةِ طُنٍّ. وكانَ عَلَيْها مِرْفاعٌ بُدائِيٌّ لِلمِرْساةِ. ونُقِشَ على مُؤَخَّرَتِها المُرَبَّعَةِ شِعارٌ يَقولُ : «اِعْمَلْ أو مُتْ». أَسَرَني ذٰلِكَ الشِّعارُ من فَوْري ، ورَأَيْتُ فيه شَيْئًا مِنَ النُّزوعِ إلى المُغامَرَةِ اسْتَهْوى شَبابي ، وجَعَلَني أَعْشَقُ تِلْكَ السَّفينَةَ العَجوزَ!



حَمَّلْنا السَّفينَةَ بِالرَّمْلِ حِفاظًا على تَوازُنِها ، وغادَرْنا لَنْدَن في اتِّجاهِ مَرْفإٍ شَمالِيٍّ لِنأْخُذَ من هُناكَ شِحْنَةً مِنَ الفَحْمِ نُبْحِرُ بِها إلى بانْكوك. لَقَدْ أثارَ لَفْظُ بانْكوك حَماسَتي. فَقَدْ كُنْتُ عَرَفْتُ البَحْرَ سَنَواتٍ سِتًّا ، لٰكِنّي لم أَزُرْ في رِحْلاتي الطَّويلَةِ إلّا سِدْني ومِلْبورْن. وهاتانِ مَدينَتانِ رائِعَتانِ ، لٰكِنْ لَيْسَ فيهِما سِحْرُ بانْكوك الّذي نَجِدُهُ حتّى في الاِسْمِ نَفْسِهِ.



اِسْتَغْرَقَتِ الرِّحْلَةُ إلى ذٰلِكَ الميناء الشَّمالِيِّ الواقِعِ على ساحِلِ إنْكِلْترا الشَّرْقِيِّ أُسْبوعًا كامِلًا. لٰكِنْ هَبَّتْ عَلَيْنا ، ونَحْنُ عَلى مَشارِفِ الميناءِ ، عاصِفَةٌ هَوْجاءُ مُدَمِّرَةٌ.

اِشْتَدَّتِ الرِّياحُ هُبوبًا ، وتَعاظَمَتْ أَضْواءُ البَرْقِ ، وتَساقَطَ الثَّلْجُ بِكَثافَةٍ ، وارْتَفَعَتِ الأَمْواجُ كَالجِبالِ. ولَمّا كانَتْ سَفينَتُنا شِبْهَ فارِغَةٍ فَقَدْ راحَتِ الأَمْواجُ تَتَقاذَفُها وحَطَّمَتْ مُعْظَمَ ما كانَ على مَتْنِها.

في اللَّيْلَةِ الثّانِيَةِ مِنَ العاصِفَةِ انْجَرَفَتْ شِحْنَةُ الرِّمالِ إلى جانِبٍ واحِدٍ مِنَ العَنْبَرِ ، وجَنَحَتِ السَّفينَةُ إلى جانِبٍ رَمْلِيٍّ مِنَ الشّاطِئِ. ولم يَكُنْ أَمامَنا إلّا النُّزولُ إلى العَنْبَرِ ، واسْتِعْمالُ مَجارِفِنا في إعادَةِ الرِّمالِ إلى مَكانِها الصَّحيحِ الّذي يُؤَمِّنُ تَوازُنَ السَّفينَةِ.

رُحْنا نَعْمَلُ في ذٰلِكَ المَكانِ الوَسيعِ ، المُعْتِمِ كَالكَهْفِ ، وَسْطَ أَضْواءِ الشُّموعِ المُتَراقِصَةِ. وكانَتِ العاصِفَةُ لا تَزالُ تَهْدُرُ هَديرًا شَديدًا وتَضْرِبُ سَفينَتَنا الّتي راحَتْ تَهْتَزُّ كَمَنْ أُصيبَ بِمَسٍّ مِنَ الجُنونِ. وكُنّا جَميعُنا هُناكَ ، القُبْطانُ ، والضّابِطُ الأَوَّلُ وسائِرُ البَحّارَةِ. وكانَ الواحِدُ مِنّا يَكادُ لا يَقْوى على الثَّباتِ في مَكانِهِ ، وقَدِ انْهَمَكْنا كُلُّنا في نَقْلِ الرِّمالِ المُبْتَلَّةِ مِن جانِبٍ إلى آخَرَ.

وكُلَّما كانَتِ السَّفينَةُ تَميلُ كُنّا نَتَساقَطُ أَرْضًا كَما تَتَساقَطُ القَناني إذا أَصابَتْها كُرَةٌ. وقَدْ أَفْزَعَ ذٰلِكَ الأَمْرُ بَحّارًا غِرًّا مِن بَحّارَةِ السَّفينَةِ فَأَغْرَقَ في البُكاءِ. وظَلَّ صَوْتُ انْتِحابِهِ يَصِلُ إلَيْنا مِن بَعْضِ الجَوانِبِ المُعْتِمَةِ طَوالَ انْهِماكِنا في العَمَلِ.



في اليَوْمِ الثّالثِ هَدَأَتِ العاصِفَةُ . وبَعْدَ حينٍ قُطِرْنا إلى الميناءِ ، لٰكِنّا كُنّا قَدْ خَسِرْنا دَوْرَنا في الشَّحْنِ ، وكانَ عَلَيْنا أَنْ نَنْتَظِرَ شَهْرًا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ دَوْرُنا الجَديدُ .

جاءَتِ السَّيِّدَةُ بيرْد ، زَوْجَةُ القُبْطانِ ، مِن مَدينَةٍ قَريبَةٍ لِتَرى زَوْجَها . كانَتْ عَجوزًا ، ذاتَ وَجْهٍ أَجْعَدَ كَتُفّاحِ الشِّتاءِ ، وجَسَدٍ رَشيقٍ كَأَجْسادِ الصَّبايا .



حالَما وَقَعَتْ عَيْناها عَلَيَّ أُثَبِّتُ زِرًّا مِن أَزْرارِ قَميصي في مَكانِهِ ، أَقْبَلَتْ نَحْوي وأَصَرَّتْ أَنْ تَقومَ بِإِصْلاحِ قُمْصاني كُلِّها . وعِنْدَما جِئْتُها بِالقُمْصانِ ، سَأَلَتْني عنِ الجَوارِبِ قائِلَةً : «لا شَكَّ أَنَّها كُلَّها تَحْتاجُ إلى إِصْلاحٍ . لَقَدْ أَصْلَحْتُ ثِيابَ زَوْجي جون كُلَّها ، فيَسُرُّني أَنْ أَشْغَلَ وَقْتي بِشَيْءٍ مُفيدٍ .» بارَكَ اللهُ تِلْكَ العَجوزَ . لَقَدْ أَصْلَحَتْ كُلَّ ما في صُنْدوقي من ثِيابٍ ، وتَرَكَتْ لي وَقْتًا لِلقِراءَةِ .

أَخيرًا حُمِّلَتْ سَفينَتُنا بِالفَحْمِ. أَخَذْنا مَعَنا ثَمانِيَةَ بَحّارَةٍ قادِرينَ وَصَبِيَّيْنِ لِلأَعْمالِ البَسيطَةِ. وفي المَساءِ أَبْحَرْنا صَوْبَ عَوّاماتِ الإِرْشادِ عِنْدَ مَدْخَلِ الميناءِ يَحْدونا الأَمَلُ بِبَدْءِ رِحْلَتِنا الطَّويلَةِ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي. وبَقِيَتِ السَّيِّدَةُ بيرْد مَعَنا على أَنْ تَتْرُكَنا عِنْدَ مَوْعِدِ القِطارِ اللَّيْلِيِّ الأَخيرِ.

نَزَلْتُ أَتَناوَلُ العَشاءَ، ثُمّ صَعِدْتُ إلى سَطْحِ السَّفينَةِ أَتَأَمَّلُ أَضْواءَ سُفُنِ الفَحْمِ الَّتي كانَتْ تَدْخُلُ الميناءَ وتَخْرُجُ مِنْه. وكُنْتُ أَسْمَعُ قَرْقَعَةَ رَوافِعِ تِلْكَ السُّفُنِ وتَصْفيقَ مَراوِحِها.

بَيْنَما كُنْتُ أَتَأَمَّلُ ذٰلِكَ المَشْهَدَ بِاسْتِرْخاءٍ، لَمَحْتُ ضَوْءًا أَحْمَرَ خاطِفًا. ثُمَّ رَأَيْتُ ذٰلِكَ الضَّوْءَ يَعودُ ولا يَخْتَفي هٰذِهِ المَرَّةَ. وبَعْدَ لَحْظَةٍ لاحَ لي طَيفُ سَفينَةٍ بُخارِيَّةٍ قَريبَةٍ من سَفينَتِنا.

صِحْتُ مُنادِيًا القُبْطانَ في قَمْرَتِهِ: «اِصْعَدْ، حالًا!» ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتًا مُضْطَرِبًا يَصيحُ في الظَّلامِ: «أَوْقِفْها، يا سَيِّدي!»

عَلا صَوْتُ جَرَسِ السَّفينَةِ. وسَمِعْنا صَوْتًا آخَرَ يَصْرُخُ مُحَذِّرًا: «سَنَصْطَدِمُ بِتِلْكَ السَّفينَةِ، يا سَيِّدي!»



لَمْ أَسْمَعْ جَوابًا على ذٰلِكَ التَّحْذيرِ ، إلّا صَوْتًا أَجَشَّ يُتَمْتِمُ بِبِضْعِ كَلِماتٍ . ثُمَّ تَلا ذٰلِكَ صَوْتٌ شَديدٌ ناتِجٌ عَنِ اصْطِدامِ جانِبِ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ بِنا . وبَعْدَ لَحَظاتٍ مِنَ الفَوْضى والصُّراخِ وأَصْواتِ أَقْدامٍ تَجْري وهَديرِ البُخارِ المُنْفَلِتِ مِنَ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ ، جاءَني صَوْتٌ أَجَشُّ قائِلًا : «أَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ؟»

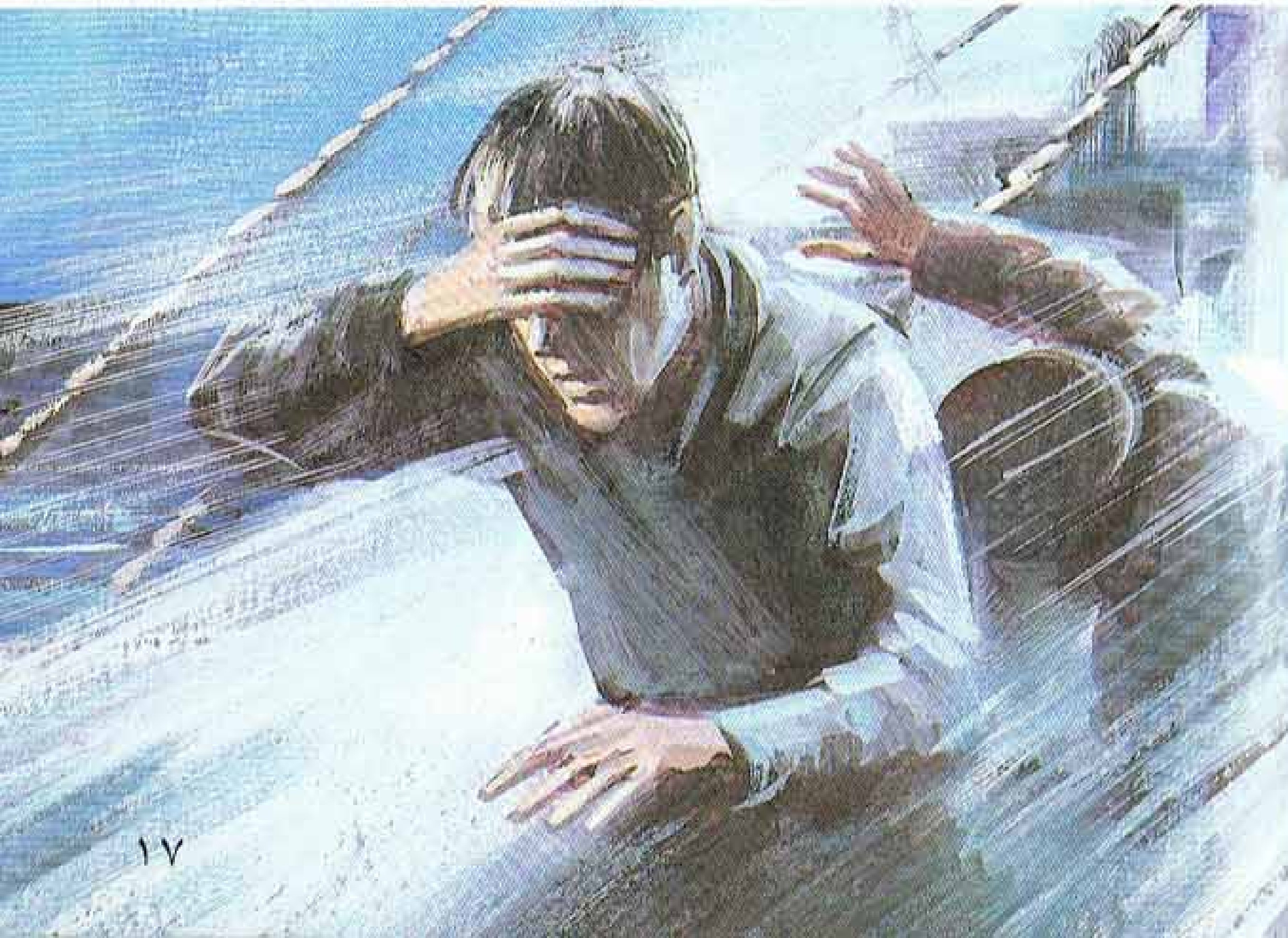
كُنْتُ قَدْ جَرَيْتُ أَتَفَحَّصُ العَطَبَ الّذي أَصابَ السَّفينَةَ ، فَصِحْتُ : «أَظُنُّ أَنّنا بِخَيْرٍ .»

صاحَ الصَّوْتُ الأَجَشُّ : «إلى الوَراءِ قَليلًا .»

ثُمَّ عَلا صَوْتُ الجَرَسِ ثانِيَةً . وزَعَقَ ماهون : «أَيُّ سَفينَةٍ هٰذِهِ؟»

لٰكِنَّ السَّفينَةَ البُخارِيَّةَ كانَتْ في هٰذا الوَقْتِ قَدْ أَخَذَتْ تَبْتَعِدُ عنّا بِبُطْءٍ ، ولم يَعُدْ يَبْدو منها في الظَّلامِ غَيْرُ شَبَحٍ يَتَحَرَّكُ .

تَمْتَمَ ماهون يَقولُ لي ، ونَحْنُ نُحَدِّقُ ، على ضَوْءِ قِنْديلٍ ، بالأَضْرارِ الّتي خَلَّفَها التَّصادُمُ : «ذٰلِكَ يَعْني شَهْرًا مِنَ التَّأْخيرِ .»





كانَ القُبْطانُ في هٰذِهِ الأَثْناءِ قَدْ جَرى يَبْحَثُ عن زَوْجَتِهِ ، قَبْلَ أنْ يَتَوَجَّهَ إلى مَرْكَزِهِ في السَّفينَةِ ، ظَنًّا منه أنّ السَّفينَةَ غارِقَةٌ وأنّ عَلَيْهِ أنْ يُنْقِذَ زَوْجَتَهُ بإنْزالِها إلى زَوْرَقِ نَجاةٍ.

بَدا القُبْطانُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إلَيْنا مُحْرَجًا . أمّا زَوْجَتُهُ الّتي وَجَدْناها سالِمَةً فَقَدْ قالَتْ بِمَرَحٍ : «أَظُنُّ ، لا بَأْسَ الآنَ لو تَأَخَّرْتُ على القِطارِ.»

قالَ القُبْطانُ بِصَوْتٍ مُدَمْدِمٍ : «انْزِلي الآنَ واسْتَدْفِئي.» ثُمّ الْتَفَتَ إلَيْنا وقالَ مُتَمْتِمًا : «لَيْسَ لِزَوْجَةِ البَحّارِ مَكانٌ على مَتْنِ سَفينَتِهِ . فها أنا قد تَرَكْتُ مِن أَجْلِها مَرْكَزَ عَمَلي . مِن حُسْنِ الحَظِّ لم يَنْتُجْ عن ذٰلِكَ ضَرَرٌ هٰذِهِ المَرَّةَ . تَعالَوْا الآنَ نَرَ ما فَعَلَتْ بِنا تِلْكَ السَّفينَةُ البُخارِيَّةُ الحَمْقاءُ.»



لم يَكُنِ العُطْلُ بالِغًا ، لٰكِنَّهُ أَخَّرَنا ، على كُلِّ حالٍ ، ثَلاثَةَ أَسابيعَ . وَقَدْ طُلِبَ إلَيَّ في نِهايَةِ هٰذِهِ المُدَّةِ مُرافَقَةُ السَّيِّدَةِ بيرْد إلى مَحَطَّةِ القِطارِ.

قالَتْ لي : «أنتَ شابٌّ صالِحٌ. أَرْجوكَ اعْتَنِ بِزَوْجي جون.»

أَجَبْتُها ، وأنا أَرْفَعُ طاقِيَّتي احْتِرامًا : «حاضِرٌ يا سَيِّدَتي !»

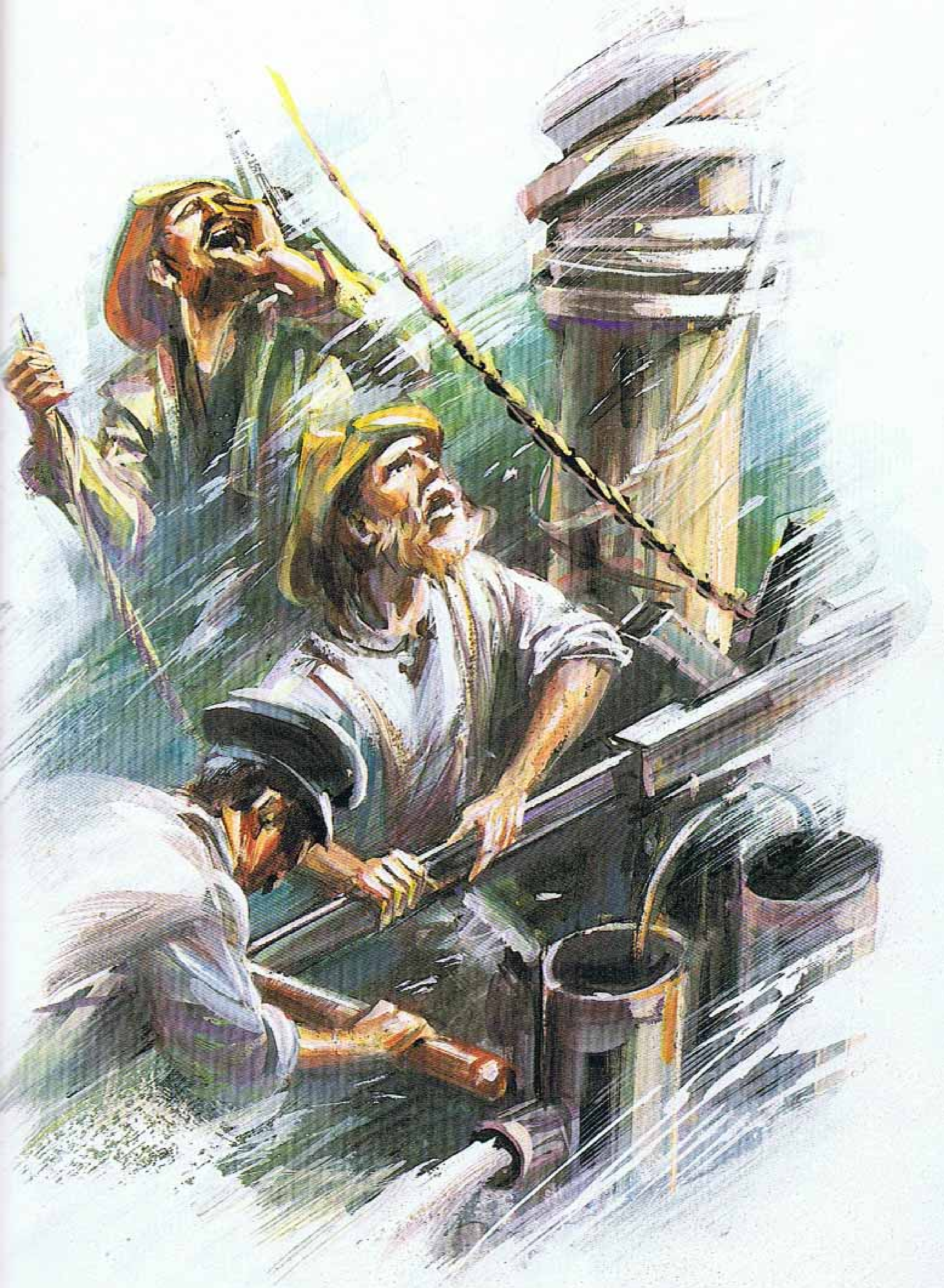
وكانَتْ تِلْكَ آخِرَ مَرَّةٍ أَراها فيها.

أَبْحَرْنا في اليَوْمِ التّالي ، وعَنابِرُنا مَمْلوءَةٌ بِالفَحْمِ ، قاصِدينَ بانْكوك بَعْدَ أنْ تَأَخَّرْنا ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ . كُنّا في شَهْرِ كانونِ الثّاني (يناير) ، غَيْرَ أنّ الطَّقْسَ كانَ جَميلًا مُشْمِسًا فَريدًا . وَقَدْ لازَمَنا الطَّقْسُ البَديعُ إلى أنْ صِرْنا على مَسافَةِ خَمْسِمِئَةِ كيلومِترٍ غَرْبَ جُزُرِ ليزَرْد . وسُرْعانَ ما تَبَدَّلَتِ الرِّياحُ وهَبَّتْ عَلَيْنا عاصِفَةٌ هَوْجاءُ .

راحَتْ سَفينَتُنا تَتَراقَصُ بَيْنَ أَمْواجِ المُحيطِ الأَطْلَسِيِّ ، وكَأَنَّها صُنْدوقٌ مُهْتَرِئٌ . وهَبَّتِ الرِّياحُ دونَ هَوادَةٍ ، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . ولم نَكُنْ نَرى من حَوْلِنا إلّا زَبَدَ الأَمْواجِ الهائِلَةِ المُتَلاطِمَةِ ، والسَّماءَ المُكْفَهِرَّةَ العاصِفَةَ الّتي تَبْدو وكَأَنَّها تَكادُ تُطْبِقُ على رُؤوسِنا .

مَرَّتْ أَيّامٌ ولَيالٍ لم نَعْرِفْ في أَثْنائِها الرّاحَةَ ، ولا سَفينَتُنا عَرَفَتْها . راحَتِ السَّفينَةُ تَنْقَلِبُ على جَنْبِها أو مُؤَخَّرَتِها أو مُقَدَّمَتِها أو تَنْدَفِعُ مَعَ الأَمْواجِ انْدِفاعًا مَجْنونًا هابِطَةً صاعِدَةً . وهي في أَثْناءِ ذلِكَ كُلِّهِ تَئِنُّ أَنينًا مُوجِعًا . وكانَ عَلَيْنا أنْ نَتَمَسَّكَ بِما حَوْلَنا تَمَسُّكَ اليائِسينَ سَواءٌ أَكُنّا فَوْقَ سَطْحِ السَّفينَةِ أو في داخِلِها .





أَيْقَظَني ماهون ذاتَ لَيْلَةٍ بِعَصَبِيَّةٍ ، وقالَ لي : «المِضَخّاتُ لا تَعْمَلُ ، يا مارْلو.»

صَعِدْتُ مُسْرِعًا حَيْثُ كانَ البَحّارَةُ مُتَجَمِّعينَ. وعلى ضَوْءِ القِنْديلِ رَأَيْتُ وُجوهَهُمُ التَّعِبَةَ المَهْمومَةَ.

وكانَ عَلَيْنا مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ أنْ نَقومَ بِضَخِّ المِياهِ بِصورَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ طَوالَ النَّهارِ ، وطَوالَ اللَّيْلِ ، وطَوالَ أَيّامِ الأُسْبوعِ. كانَ الماءُ يَتَسَرَّبُ إلى السَّفينَةِ ، لَيْسَ بِالشَّكْلِ الّذي يُغْرِقُنا فَوْرًا ، لٰكِنْ بِالشَّكْلِ الّذي يَتَطَلَّبُ مِنّا أنْ نَظَلَّ طَوالَ الوَقْتِ مُنْهَمِكينَ في الضَّخِّ.

وبَيْنَما كُنّا نَقومُ بِمُهِمَّتِنا ، كانَتِ السَّفينَةُ تَبْدو وكَأَنَّها سَتَتَحَوَّلُ إلى حُطامٍ. لَقَدْ تَحَطَّمَتِ الأَعْمِدَةُ ، ولَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فَوْقَ السَّطْحِ إلّا وتَحَوَّلَ إلى شَظايا. ولَمْ يَكُنْ في الطَّقْسِ ما يُنْبِئُ بِانْفِراجٍ قَريبٍ.

لَمْ يَعُدْ لِلشَّمْسِ والسَّماءِ والنُّجومِ بِالنِّسْبَةِ إلَيْنا وُجودٌ. اِنْحَصَرَ عالَمُنا في الأَمْواجِ المُنْقَضَّةِ وزَبَدِ البَحْرِ الهائِجِ ، وعِظامِنا الّتي لا تَكُفُّ عَنِ الارْتِجافِ. نَسينا في أَيِّ يَوْمٍ نَحْنُ ، وأَيِّ أُسْبوعٍ ، وأَيِّ شَهْرٍ مِنَ السَّنَةِ.

لَمْ يَعُدْ يَهُمُّ الآنَ غَيْرُ مُواصَلَةِ تَدْويرِ سَواعِدِ المِضَخّاتِ. وبَدا في عُيونِنا كُلِّنا نَظَراتٌ بَلْهاءُ. لٰكِنّا واصَلْنا الضَّخَّ بِلا تَوَقُّفٍ. وفي أَثْناءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ راحَتِ المِياهُ تَنْصَبُّ فَوْقَ أَجْسامِنا وتَصِلُ حتّى أَعْناقِنا ورُؤوسِنا ، حتّى نَسينا كَيْفَ يَكونُ الإنْسانُ غَيْرَ مُبْتَلٍّ.



بَيْنَما كُنْتُ ذاتَ لَيْلَةٍ أَقومُ بِدَوْري في الضَّخِّ ، صَدَمَ ساقي قِدْرٌ. لم يَلْفِتْ ذٰلِكَ انْتِباهي أَوَّلَ الأَمْرِ ، فَقَدْ كُنْتُ مُرْهَقًا لا أَرى أَمامي إلّا المِضَخّاتِ. ثُمَّ لَمَعَ في رَأْسي فَجْأَةً ما حَدَثَ ، فَصِحْتُ : «يا شَبابُ ، لَقَدْ طارَ العَنْبَرُ السَّطْحِيُّ. أُتْرُكوا ما نَحْنُ فيهِ وتَعالَوْا نَبْحَثُ عَنِ الطَّبّاخِ.»

كانَ البَحّارَةُ كُلُّهُمْ قَدْ تَرَكوا العَنْبَرَ السَّطْحِيَّ ، فَقَدْ كانَ واضِحًا أنّه يُوشِكُ أنْ يَتَداعى. غَيْرَ أَنَّ الطَّبّاخَ أَصَرَّ على أنْ يَبْقى فيهِ مُتَمَسِّكًا بِسَريرِهِ بِعِنادٍ تَمَسُّكَ حَيَوانٍ مَذْعورٍ.

خاطَرْنا بِحَياتِنا في بَحْثِنا عنه ، فَلَقَدْ كانَ عَلَيْنا أنْ نُعَرِّضَ أَنْفُسَنا تَعْريضًا مُباشِرًا لِقُوَّةِ العاصِفَةِ. وَجَدْنا العَنْبَرَ السَّطْحِيَّ قد تَبَعْثَرَ كما لو أنّه نُسِفَ نَسْفًا. وكانَ الجُزْءُ الأَكْبَرُ مِنَ العَنْبَرِ قد تَشَتَّتَ في الظَّلامِ وضاعَ مَعَ مِياهِ البَحْرِ. غَيْرَ أنَّ سَريرَ الطَّبّاخِ كانَ لا يَزالُ عالِقًا في مَكانِهِ ، وكَأَنَّ يَدَ القَدَرِ قد تَدَخَّلَتْ لِلإِبْقاءِ عَلَيْهِ.

زَحَفْنا بَيْنَ الحُطامِ حتّى وَقَعَتْ عُيونُنا على المَخْلوقِ البائِسِ وهو يَضْحَكُ ويُتَمْتِمُ كَلامًا غَيْرَ مَفْهومٍ. لَقَدْ أُصيبَ بِالجُنونِ ، وظَلَّ طَوالَ حَياتِهِ مَجْنونًا. هٰذا ما فَعَلَتْهُ العاصِفَةُ في رَجُلٍ مَنْكودِ الحَظِّ مِنّا.



أخيرًا هدَأَتِ العاصِفَةُ ، وتَمَكَّنّا مِنَ الوُصولِ إلى أحَدِ موانِئِ شاطِئِ إنْكِلْترا الجَنوبِيِّ. وكُنّا أقْرَبَ إلى المَوْتِ مِنّا إلى الحَياةِ، ونَصْطَحِبُ مَعَنا مَجْنونًا.

قامَ عُمّالُ ذٰلِكَ البَلَدِ بِعَمَلٍ مَشْكورٍ. فَقَدْ أعادوا السَّفينَةَ المُحَطَّمَةَ الّتي وَصَلَتْهُمْ ، إلى حالَتِها الصّالِحَةِ السّابِقَةِ. واسْتَبْدَلْنا بِبَحّارَتِنا فَريقًا جَديدًا.

أبْحَرْنا ثانِيَةً ، غَيْرَ أنَّنا عُدْنا إلى الميناءِ بَعْدَ أيّامٍ. فَقَدْ رَفَضَ البَحّارَةُ المُضِيَّ في رِحْلَةٍ تَسْتَغْرِقُ مِئَةً وخَمْسينَ يَوْمًا ، على مَتْنِ سَفينَةٍ يَحْتاجونَ فيها إلى ضَخِّ المِياهِ ثَمانِيَ ساعاتٍ يَوْمِيًّا.



اِعْتَرَضَتْنا عَقَباتٌ أُخْرى ، فكانَ أنْ مَكَثْنا في الميناءِ سِتَّةَ أشْهُرٍ حتّى بَدَوْنا وكَأَنَّنا مِن مَعالِمِهِ الدّائِمَةِ. صِرْنا مِن زَبائِنِ المَحَلّاتِ كُلِّها ، وكانَ الأَوْلادُ يَقْتَرِبونَ مِن سَفينَتِنا ، ويَصيحونَ : «إلى أيْنَ أنْتُمْ ذاهِبونَ؟ إلى بانْكوك؟» ثُمَّ يَنْفَجِرونَ ضاحِكينَ.

ومَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ زادَ حُبّي لِتِلْكَ السَّفينَةِ ، وتَحَرَّقْتُ شَوْقًا للإبْحارِ بِها إلى بانْكوك. لَقَدْ غَدَتْ بانْكوك عِنْدي كَلِمَةً سِحْرِيَّةً. تَذَكَّروا أنّي كُنْتُ حينَها في العِشْرينَ ، وكانَتْ أوَّلَ رِحْلَةٍ لي كَضابِطٍ ثانٍ.

فِي نِهايَةِ الشُّهورِ السِّتَّةِ الطَّويلَةِ تِلْكَ ، زارَنا أَحَدُ الوُكَلاءِ البَحْرِيِّينَ زِيارَةً مُفاجِئَةً ، فدَبَّتِ الحَياةُ في السَّفينَةِ. دَخَلْنا حَوْضًا جافًّا لإِصْلاحِ السُّفُنِ ، وجُدِّدَ هَيْكَلُ السَّفينَةِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ مانِعًا لِلماءِ. ثُمَّ أَعَدْنا تَحْميلَ شِحْنَتِنا الأَصْلِيَّةِ.

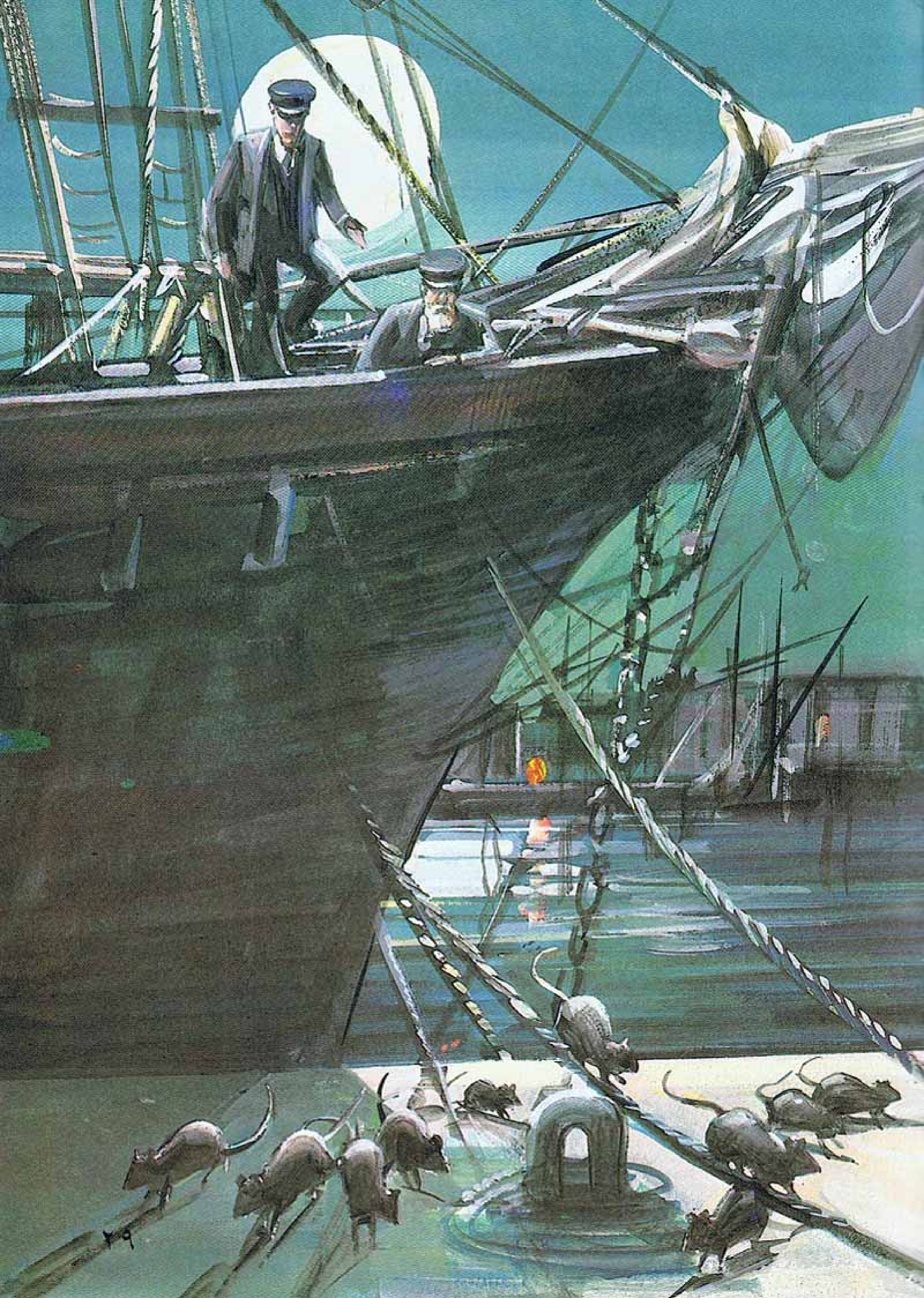
وفي لَيْلَةٍ قَمْراءَ رَأَيْنا الجُرْذانَ تَهْجُرُ السَّفينَةَ. وتِلْكَ عَلامَةٌ سَيِّئَةٌ ، إِذْ يُقالُ أَنَّ الجُرْذانَ لا تَهْجُرُ إِلّا السَّفينَةَ المُشْرِفَةَ على الغَرَقِ. لٰكِنَّنا ، أنا وماهون ، وَقَفْنا نُراقِبُ المَشْهَدَ وقَدِ اسْتَغْرَقْنا في الضَّحِكِ.

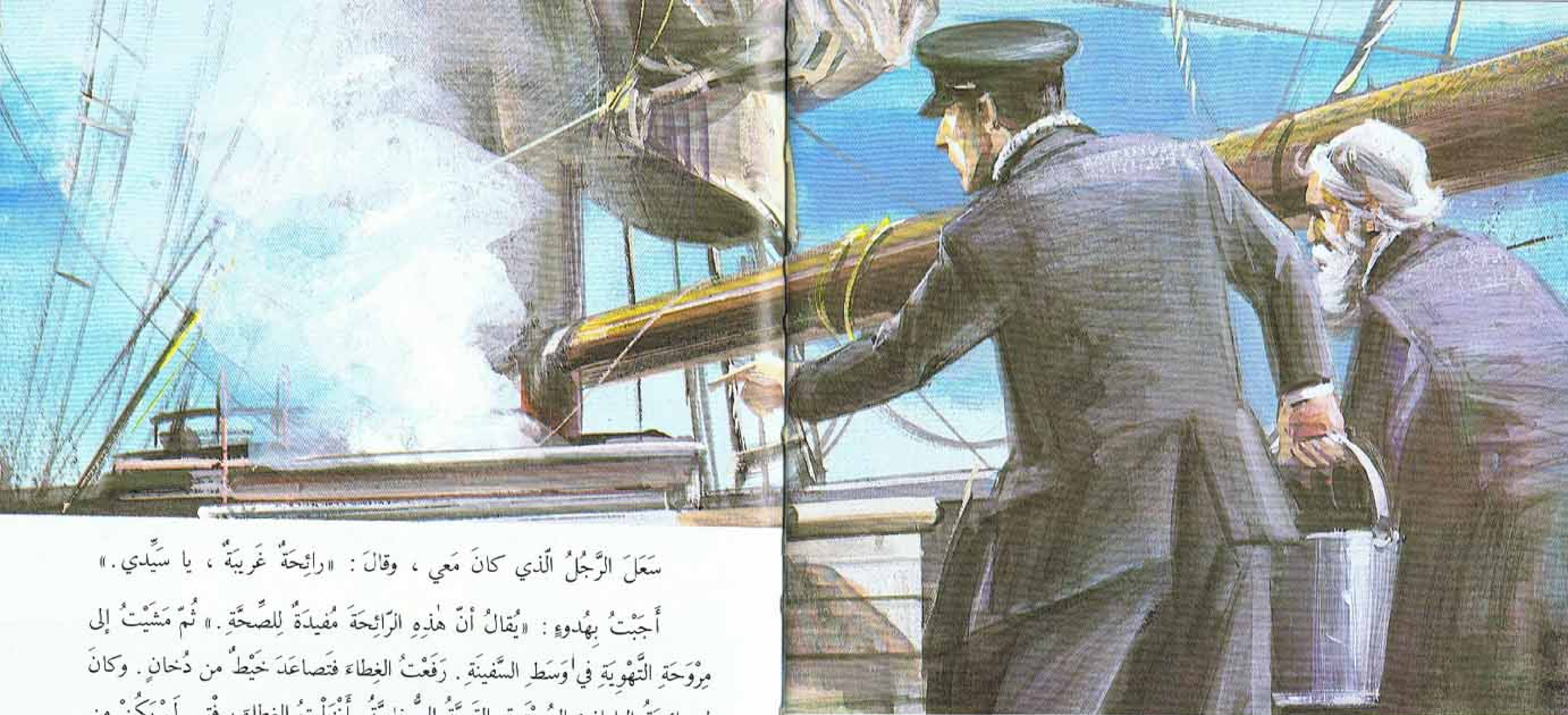
قالَ ماهون : «لا تَذْكُرْ لي بَعْدَ الآنِ شَيْئًا عن ذَكاءِ الجُرْذانِ ، فلو أَنَّها كانَتْ ذَكِيَّةً حقًّا لَتَرَكَتْنا قَبْلَ الآنَ ، عِنْدَ اشْتِدادِ العاصِفَةِ عَلَيْنا.»

أَخيرًا أَصْبَحْنا جاهِزينَ ، وأُرْسِلَ إِلَيْنا فَريقٌ جَديدٌ مِنَ البَحّارَةِ اخْتيرَ من ميناءٍ بَعيدٍ. فَقَدِ امْتَنَعَ بَحّارَةُ الشّاطِئِ الجَنوبِيِّ كُلِّهِ مِنَ الإِبْحارِ مَعَنا ، بَعْدَ أَنْ ذاعَتْ شُهْرَةُ سَفينَتِنا !

كانَتِ الرِّيحُ مُعْتَدِلَةً ومِياهُ البَحْرِ ساكِنَةً ، فانْطَلَقَتْ سَفينَتُنا جَنوبًا تَتَهادى تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ. لَمْ نَكُنْ نَقْطَعُ أَكْثَرَ مِن أَرْبَعِ عُقَدٍ في السّاعَةِ ، لٰكِنَّ شَبابي كانَ يَحْمِلُني على الصَّبْرِ. فَلَقَدْ كانَ أَمامي الشَّرْقُ كُلُّهُ وحَياتي كُلُّها ، وبَدا لي أَنّي قَدِ اجْتَزْتُ امْتِحاني مَعَ السَّفينَةِ العَجوزِ بِنَجاحٍ.

ثُمَّ دَخَلْنا المُحيطَ الهِنْدِيَّ ، واتَّجَهْنا شَمالًا صَوْبَ رَأْسِ جاوا. ووَسْطَ رِياحٍ هادِئَةٍ وادِعَةٍ تَتابَعَتِ الأَسابيعُ بِسَكينَةٍ واطْمِئْنانٍ. وكانَ شِعارُ السَّفينَةِ «اِعْمَلْ أو مُتْ» الّذي جُدِّدَ هو أَيْضًا يَبْرُقُ في ضَوْءِ الشَّمْسِ.





وفي مَساءِ أَحَدِ الأَيّامِ ، طَلَبَ مِنّي رِفاقي دَلْوًا إضافِيًّا مِنَ الماءِ العَذْبِ لِغَسْلِ ثِيابِهِمْ. ولَمّا كانَ الوَقْتُ مُتَأَخِّرًا فإنّي لَمْ أُرِدْ أنْ أُرَكِّبَ المِضَخَّةَ لِلحُصولِ على دَلْوٍ واحِدٍ مِنَ الماءِ. واتَّجَهْتُ صَوْبَ خَزّانِ الماءِ الإضافِيِّ أَمْلأُ منه الدَّلْوَ.

شَمَمْتُ هُناكَ رائِحَةً غَريبَةً مُرْعِبَةً. فكَأَنَّما مِئاتُ قَناديلِ البارافينِ قَدْ تُرِكَتْ تَشْتَعِلُ مُنْذُ أَسابيعَ.

سَعَلَ الرَّجُلُ الّذي كانَ مَعي ، وقالَ : «رائِحَةٌ غَريبَةٌ ، يا سَيِّدي.»

أَجَبْتُ بِهُدوءٍ : «يُقالُ أنّ هٰذِهِ الرّائِحَةَ مُفيدَةٌ لِلصِّحَّةِ.» ثُمّ مَشَيْتُ إلى مِرْوَحَةِ التَّهْوِيَةِ في أَوَسَطِ السَّفينَةِ. رَفَعْتُ الغِطاءَ فتَصاعَدَ خَيْطٌ من دُخانٍ. وكانَ له رائِحَةُ البارافينِ المُحْتَرِقِ القَوِيَّةُ السُّخامِيَّةُ. أَنْزَلْتُ الغِطاءَ بِرِفْقٍ. لَمْ يَكُنْ مِن داعٍ لِخِداعِ نَفْسي أو خِداعِ الآخَرينَ. لَقَدْ كانَتْ حُمولَتُنا مِنَ الفَحْمِ الحَجَرِيِّ تَحْتَرِقُ.

في اليَوْمِ التّالي أَخَذَ دُخانُ الاحْتِراقِ يَتَصاعَدُ. ولَمْ يَكُنِ الأَمْرُ مُفاجِئًا. فَلَقَدْ تَعَرَّضَ الفَحْمُ الحَجَرِيُّ لِلتَّكَسُّرِ في أَثْناءِ عَمَلِيّاتِ الشَّحْنِ ، كما تَشَرَّبَ حَرارِيًّا في أَثْناءِ العَواصِفِ الرَّعْدِيَّةِ . فارْتَفَعَتْ حرارَتُهُ ارْتِفاعًا شَديدًا أَدّى إلى نُشوءِ احْتِراقٍ تِلْقائِيٍّ.

اِسْتَدْعى القُبْطانُ الضّابِطَ الأَوَّلَ إلى قَمْرَتِهِ واسْتَدْعاني. بَدا شاحِبَ الوَجْهِ، وقَدْ بَسَطَ أَمامَهُ خَريطَةً بَحْرِيَّةً.

قالَ لَنا: «إنّ شاطِئَ أُسْتراليا الغَرْبيَّ قريبٌ. لٰكِنّي أَنْوي إكْمالَ خَطِّ سَيْرِنا الأَصْلِيِّ، على الرُّغْمِ مِن أنّنا الآنَ في شَهْرِ الأَعاصير. سَنُتابِعُ سَيْرَنا إلى بانْكوك، ونُحارِبُ النّار طَوالَ طَريقِنا، إنْ كانَ لا بُدَّ مِن ذٰلِكَ. عَلَيْنا أَوَّلاً أنْ نُحاوِلَ إخْمادَها بِقَطْعِ الهَواءِ عَنْها.»

حاوَلْنا ذٰلِكَ، فسَدَدْنا كُلَّ فُتْحَةٍ وكُلَّ شَقٍّ. لٰكِنَّ النّارَ لَمْ تَتَوَقَّفْ. وراحَ الدُّخانُ يَتَسَرَّبُ مِن بَيْنِ شُقوقٍ خَفِيَّةٍ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ أَصْلًا بِوُجودِها، ويَشُقُّ طَريقَهُ عَبْرَ جُدْرانِ السَّفينَةِ الخَشَبِيَّةِ وكأَنَّ له حَياةً في ذاتِهِ. شَقَّ طَريقَهُ إلى كُلِّ مَكانٍ، حتّى وَصَلَ إلى مَقْصورَةِ القِيادَةِ ومُقَدَّمَةِ السَّفينَةِ. لَقَدْ أَبى الاحْتِراقُ أنْ يَخْمُدَ.

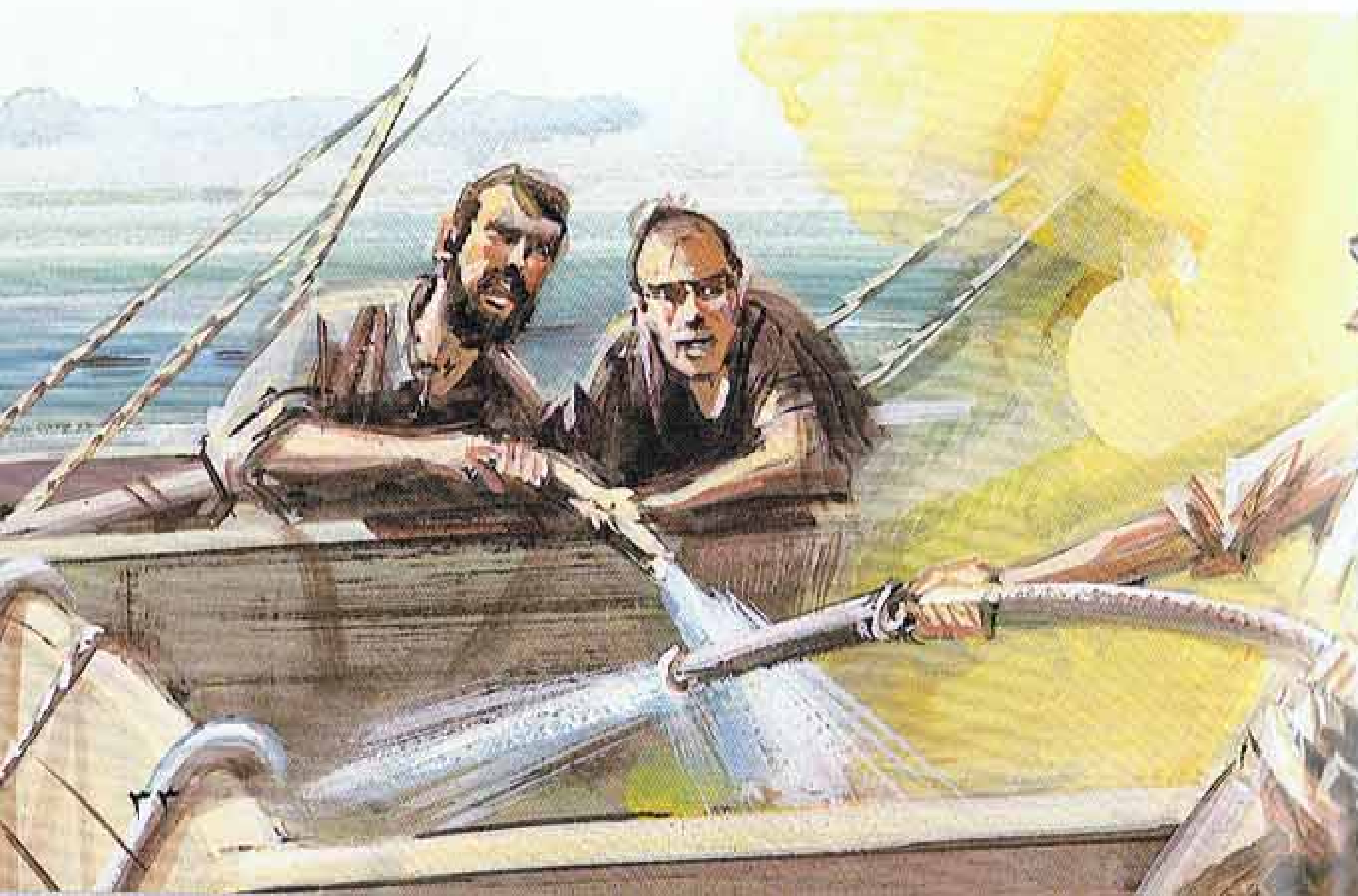


حاوَلْنا عِنْدَئِذٍ اسْتِعْمالَ الماءِ. فَتَحْنا الأَبْوابَ، فخَرَجَتْ كَمِيّاتٌ هائِلَةٌ مِن دُخانٍ أَصْفَرَ كَثيفٍ دُهْنِيٍّ. أَعْدَدْنا مِضَخَّةً ورُحْنا نَضُخُّ الماءَ مِنَ المُحيطِ الهِنْدِيِّ إلى داخِلِ السَّفينَةِ. وكَأَنَّما كانَ قَدَرُنا أَنْ نَضُخَّ الماءَ إلى خارِجِ السَّفينَةِ إنْقاذًا لِأَنْفُسِنا مِنَ الغَرَقِ، وأَنْ نَضُخَّهُ إلى داخِلِها إنْقاذًا لِأَنْفُسِنا مِنَ الاحْتِراقِ.

وهٰكَذا راحَتْ سَفينَتُنا العَجوزُ تَزْحَفُ في البَحْرِ زَحْفًا، مُتَمَرِّغَةً، مُتَلَفِّعَةً بِسُحُبِ الدُّخانِ الأَصْفَرِ.

في أَثْناءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ لَمْ نَرَ نارًا، فَلَقَدْ كانَتِ النّارُ لا تَزالُ كامِنَةً في القاعِ. جاءَني ماهون ذاتَ مَرَّةٍ، وقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ ابْتِسامَةٌ غَريبَةٌ، وقالَ لي: «ما أَحْوَجَنا الآنَ إلى ما يُحْدِثُ في السَّفينَةِ فَجْوَةً! ذٰلِكَ يُوقِفُ النّارَ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ؟»

ولَمْ أَجِدْ جَوابًا على مِثْلِ ذٰلِكَ التَّمَنّي إلّا قَوْلي له: «أَتَذْكُرُ الجُرْذانَ؟»



كُنّا أَحْيانًا نَهْزِلُ في أَثْناءِ مُكافَحَتِنا النّارَ. فَقَدْ يَصُبُّ الرَّجُلُ مِنّا الماءَ ويَصيحُ: «هيّا إلى بانْكوك!» لكِنّا كُنّا بِعامَّةٍ مَيّالينَ إلى الصَّمْتِ، جِدّيّينَ، وعِطاشًا. آهِ! ما كانَ أَشَدَّ عَطَشَنا! فَقَدْ كانَ عَلَيْنا أنْ نكونَ شَديدي الحِرْصِ على الكَمِّيَّةِ الضَّئيلَةِ الّتي بَقِيَتْ مَعَنا مِن مِياهِ الشُّرْبِ.

جَرَّبْنا كُلَّ شَيْءٍ. بَلْ إنّا حاوَلْنا أنْ نَشُقَّ طَريقًا إلى النّار. لكِنْ لم يَتَمَكَّنْ أَيٌّ مِنّا مِنَ الصُّمودِ تَحْتُ أَكْثَرَ من دَقيقَةٍ واحِدَةٍ. أُغْمِيَ على ماهون الّذي كانَ أَوَّلَ النّازِلينَ. وأُغْمِيَ أَيْضًا على الرَّجُلِ الّذي أُرْسِلَ لإخْراجِهِ. فرَفَعْنا الاثْنَيْنِ مَعًا، ثُمّ قَفَزْتُ أنا لِأُرِيَهُمْ بَساطَةَ الأَمْرِ، فرَفَعَني البَحّارَةُ بَعْدَ لَحَظاتٍ فاقِدَ الوَعْيِ، مُسْتَعينينَ بِكُلّابٍ مُتَّصِلٍ بِعصا مِكْنَسَةٍ.



أَخَذَتِ الأُمورُ تَسوءُ. فأَنْزَلْنا إلى جانِبِ السَّفينَةِ قارِبَيْ نَجاةٍ اسْتِعْدادًا لِلطَّوارِئ. فَجْأَةً أَخَذَ الدُّخانُ يَتَناقَصُ. فضاعَفْنا جُهودَنا في صَبِّ الماءِ فَوْقَ مَكانِ الاحْتِراقِ. وبَعْدَ يَوْمَيْنِ كانَ الدُّخانُ قَدِ انْقَطَعَ تَمامًا. وعَلَتِ ابْتِسامَةٌ عَريضَةٌ وُجوهَنا جَميعًا.

لَمْ يَكُنْ عِنْدَنا في اليَوْمِ التّالي عَمَلٌ، فانْهَمَكَ الرِّجالُ في تَنْظيفِ ثِيابِهِمْ ووُجوهِهِمْ بَعْدَ أنْ شُغِلوا عن ذلِكَ أُسْبوعَيْنِ. وراحوا يَتَحَدَّثونَ عَنِ الاحْتِراقِ التِّلْقائِيِّ بِاحْتِقارٍ، ويُرَدِّدونَ أَنَّهُمْ لِمِثْلِ تِلْكَ الحَرائِقِ. أَمّا أنا، فَقَدْ كُنْتُ فَرِحًا وفَخورًا وكَأَنّي شارَكْتُ في رِبْحِ مَعْرَكَةٍ بَحْرِيَّةٍ كُبْرى. آهِ! ما أَشَدَّ حَماقَةَ الشَّبابِ!





في اليَوْمِ التّالي كانَتْ نَوْبَةُ عَمَلي تَمْتَدُّ بَيْنَ الثّامِنَةِ والثّانِيَةَ عَشْرَةَ. كُنْتُ مُتَّكِئًا على دَكَّةِ النَّجّارِ فَوْقَ سَطْحِ السَّفينَةِ، صَعِدَ النَّجّارُ ورُحْنا نَتجاذَبُ أَطْرافَ الحَديثِ. قالَ: «أَظُنُّ أَنّنا أَحْسَنّا العَمَلَ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ؟»

أَحْسَسْتُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِشُعورٍ غَريبٍ مَنَعَني مِنَ الجَوابِ. فَقَدْ رَأَيْتُ نَفْسي أَطيرُ، وسَمِعْتُ مِن حَوْلي صَوْتَ انْفِجارٍ مُخيفٍ. وبَدا لي أنّي أُصِبْتُ بِصَدْمَةٍ أَوْجَعَتْ أَضْلاعي. وبَيْنَما كُنْتُ أَتَحَرَّكُ في الهَواءِ تَلاحَقَتْ أَفْكاري، على ما أَذْكُرُ، في أَسْئِلَةٍ حائِرَةٍ، وكَأَنَّها تَصْرُخُ قائِلَةً: «ما هٰذا؟ تَصادُمٌ؟ تَفَجُّرٌ بُرْكانِيٌّ في البَحْرِ؟ اِنْفِجارُ مَنْجَمٍ؟ يا إِلٰهي! لَقَدْ نُسِفْنا! ماتوا كُلُّهُمْ!» ثُمَّ وَقَعْتُ عَبْرَ فُتْحَةٍ، ورَأَيْتُ نارًا تَسْتَعِرُ!

ولَمْ يَمْضِ جُزْءٌ مِن ثانِيَةٍ إلّا وكُنْتُ مَرْمِيًّا فَوْقَ شِحْنَةِ الفَحْمِ الحَجَرِيِّ. رَفَعْتُ نَفْسي وخَرَجْتُ مَذْعورًا كَمَنْ أُصيبَ بِصَدْمَةٍ كَهْرَبائِيَّةٍ.

كانَ سَطْحُ السَّفينَةِ رُكامًا مِنَ الخَشَبِ المُحَطَّمِ وقُماشِ الأَشْرِعَةِ المُمَزَّقَةِ. ورَأَيْتُ صارِيَ السَّفينَةِ يَقَعُ فَوْقَ رَأْسي فانْدَفَعْتُ هارِبًا مِن طَريقِهِ.



وكانَ ماهون أَوّلَ مَنْ رَأَيْتُ. بَدا ذاهِلًا يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ بِعَيْنَيْنِ زائِغَتَيْنِ، وقَدِ انْفَتَحَ فَمُهُ كُلُّهُ وانْتَصَبَ شَعْرُهُ الأَبْيَضُ فَزَعًا.

حَدَّقْتُ به غَيْرَ مُصَدِّقٍ أَنَّهُ لا يَزالُ حَيًّا، وحَدَّقَ بي وفي عَيْنَيْهِ نَظْرَةُ تَساؤُلٍ يائِسَةٌ. لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ شَعْري كانَ قَدِ احْتَرَقَ كُلُّهُ، وكَذٰلِكَ احْتَرَقَ حاجِبايَ ورُموشُ أَجْفاني وشارِباي، وأَنَّ وَجْهي كانَ أَسْوَدَ، وأَنَّ وَجْنَتَيَّ وأَنْفي وذَقَني كانَتْ كُلُّها تَنْزِفُ. رَأَيْتُ ثِيابي سَوْداءَ مُمَزَّقَةً، وأَدْهَشَني أَنْ أَرى السَّفينَةَ لا تَزالُ عائِمَةً، وأَدْهَشَني أَكْثَرَ أَنْ أَرى واحِدًا مِنَ النّاسِ لا يَزالُ حَيًّا فَوْقَها.

وَسَطَ الاضْطِرابِ، لَمَحْتُ القُبْطانَ يَخْرُجُ مِن داخِلِ السَّفينَةِ، وفي عَيْنَيْهِ نَظَراتٌ بَلْهاءُ. أَتى إِلَيَّ وسَأَلَني بِلَهْفَةٍ: «أَيْنَ طاوِلَةُ المَقْصورَةِ؟»

أَصابَني ذٰلِكَ السُّؤالُ بِصَدْمَةٍ عَنيفَةٍ. كُنْتُ لَمْ أَزَلْ غَيْرَ واثِقٍ مِمّا إذا كُنْتُ حَيًّا أو مَيْتًا، ويَأْتيني مِثْلُ ذٰلِكَ السُّؤالِ!

زَعَقَ ماهون، وهو يَخْبِطُ بِقَدَمَيْهِ، قائِلًا: «يا اللهُ! ألا تَرى أَنَّ الجانِبَ العُلْوِيَّ مِنَ السَّفينَةِ قَدْ طارَ كُلُّهُ؟»

تَمْتَمْتُ بِكَلِماتٍ واهِنَةٍ. ثُمَّ سَمِعْتُ القُبْطانَ يَطْلُبُ بِهُدوءٍ أَنْ يُرْفَعَ الشِّراعُ مُجَدَّدًا.

قالَ ماهون وهو يُغالِبُ دُموعَهُ: «لا أَعْرِفُ إِنْ كانَ لا يَزالُ أَحَدٌ حَيًّا.»

بَدا الإصْرارُ على وَجْهِ القُبْطانِ وهو يَقولُ بِهُدوءٍ: «لا شَكَّ أَنّه بَقِيَ حَيًّا عَدَدٌ يَكْفي لإعادَةِ نَشْرِ الأَشْرِعَةِ.»

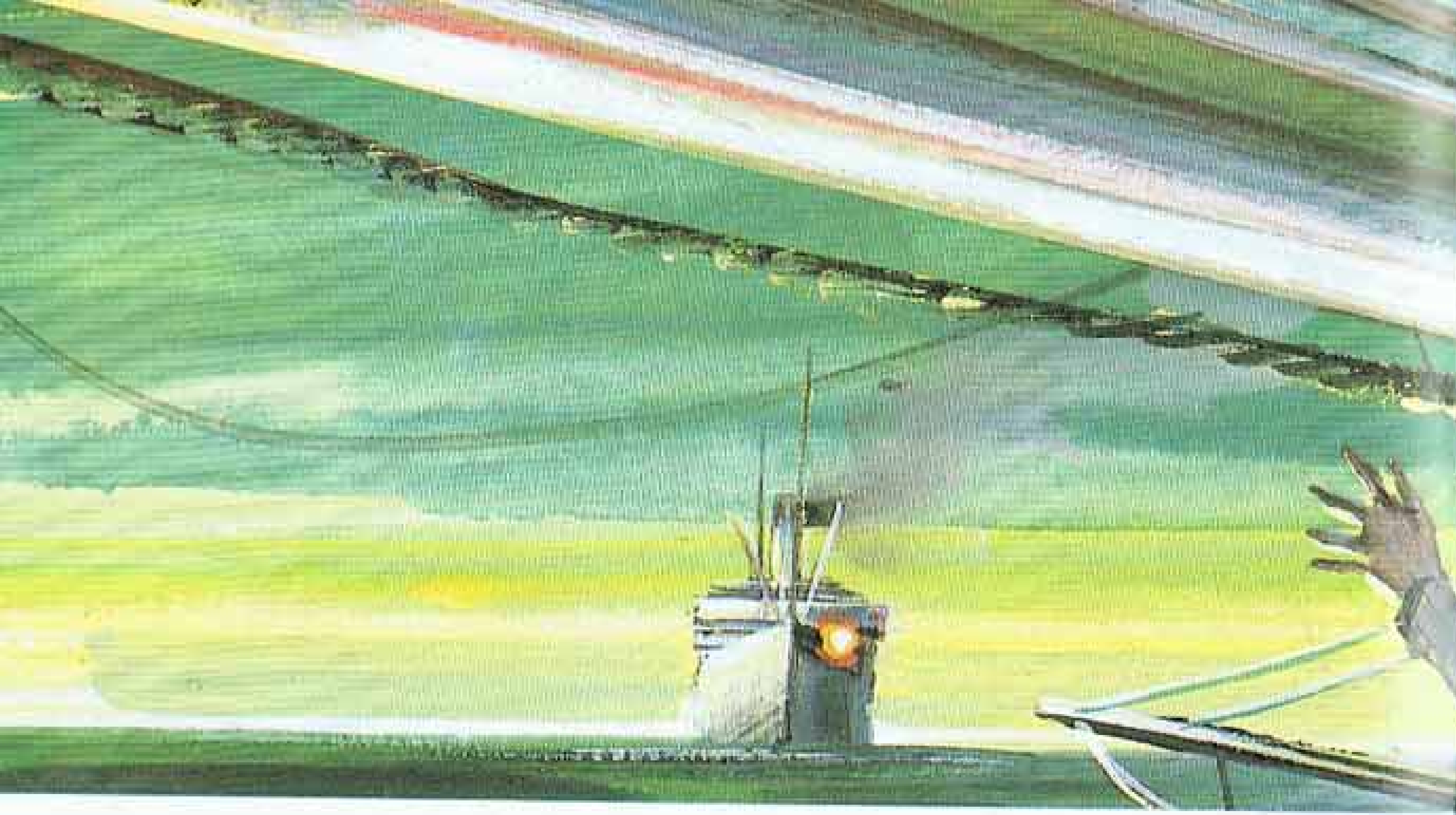
كانَ القُبْطانُ ، على ما يَبْدو ، في مَقْصورَتِهِ يَسْتَخْدِمُ بَعْضَ أَجْهِزَةِ القِياسِ ، حينَ وَقَعَ الانْفِجارُ المُرَوِّعُ وقَذَفَ به في الهَواءِ. وحينَ اسْتَوى على قَدَمَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ ، كانَ أَوَّلَ ما وَعاهُ اخْتِفاءُ طاوِلَةِ المَقْصورَةِ وحُدوثُ فَجْوَةٍ عَميقَةٍ في مَكانِها. ولَقَدْ تَرَكَ ذٰلِكَ الأَمْرُ في نَفْسِهِ أَثَرًا بالِغًا حتّى لَمْ يَعُدْ يَرى لِغَيْرِهِ شَأْنًا يُذْكَرُ.



نَظَرَ القُبْطانُ إلى عَجَلَةِ القِيادَةِ في السَّفينَةِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَها أَحَدًا ، ورَأى أنّ السَّفينَةَ قَدْ خَرَجَتْ عن خَطِّ سَيْرِها. فانْحَصَرَ هَمُّهُ في مُحاوَلَةِ إعادَةِ الهَيْكَلِ الّذي تَبَقّى مِن سَفينَتِنا إلى خَطِّ السَّيْرِ الأَصْلِيِّ المُوْصِلِ إلى بانْكوك. ولَقَدْ كانَ لإصْرارِ القُبْطانِ على أَمْرٍ لا يَرى غَيْرَهُ وَقْعُ الصّاعِقَةِ عَلَيْنا ، أنا وماهون.

وهٰكَذا كانَ أَوَّلَ شَيْءٍ فَعَلْناهُ فَوْقَ ذٰلِكَ الحُطامِ إعادَةُ نَشْرِ الأَشْرِعَةِ. لَمْ يُقْتَلْ أَيٌّ مِنَ البَحّارَةِ في الانْفِجارِ أو يُصَبْ بِعُطْلٍ دائِمٍ. غَيْرَ أنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنّا تَأَذّى بِشَكْلٍ أو بِآخَرَ.

كانَ مَنظَرُهُمْ مُرْعِبًا. فَقَدْ كانَ عَدَدٌ منهم مُمزَّقي الثِّيابِ ، يَنْظُرونَ بِعُيونٍ بَيْضاءَ مَذْعورَةٍ مِن وُجوهٍ مُسْوَدَّةٍ. وكانَ آخَرونَ نائِمينَ عِنْدَما قَذَفَهُمُ الانْفِجارُ مِن أَسِرَّتِهِمْ ، فأَصابَهُمْ ذُعْرٌ شَديدٌ ولَمْ يَكُفّوا عَنِ الارْتِجافِ والأَنينِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ جَميعًا شارَكوا في العَمَلِ جاهِدينَ دونَ هَوادَةٍ ، حتّى بِتُّ أَتَوَقَّعُ أَنْ يَسْقُطوا إعْياءً.



بَدا سَطْحُ السَّفينَةِ كَوْمَةً مِنَ الأَلْواحِ وحُطامِ الأَخْشابِ. وارْتَفَعَتْ فَوْقَ هٰذا الحُطامِ صَواري السَّفينَةِ المُسْوَدَّةِ بِدُخانِ الاحْتِراقِ. وكانَتْ بَعْضُ سُحُبِ الدُّخانِ قَدْ أَخَذَتْ تَتَصاعَدُ مِن الحَريقِ الخَفِيِّ في باطِنِ السَّفينَةِ. لٰكِنْ على الرُّغْمِ من ذٰلِكَ كُنّا لا نَزالُ نُحافِظُ على وَعْيِنا ، فأَسْرَعْنا نَتَفَقَّدُ جَوانِبَ السَّفينَةِ. فَرَأَيْنا قائِدَ الدَّفَّةِ يُصارِعُ المِياهَ ، بَعْدَ أَنْ رَمى نَفْسَهُ لَحْظَةَ الانْفِجارِ طَلَبًا لِلنَّجاةِ. رَمَيْنا إلَيْهِ حَبْلًا وسَحَبْناهُ ، فوَقَفَ بَيْنَنا يَسيلُ ماءً ، وقَدْ بَدا على وَجْهِهِ الاكْتِئابُ والذُّعْرُ.

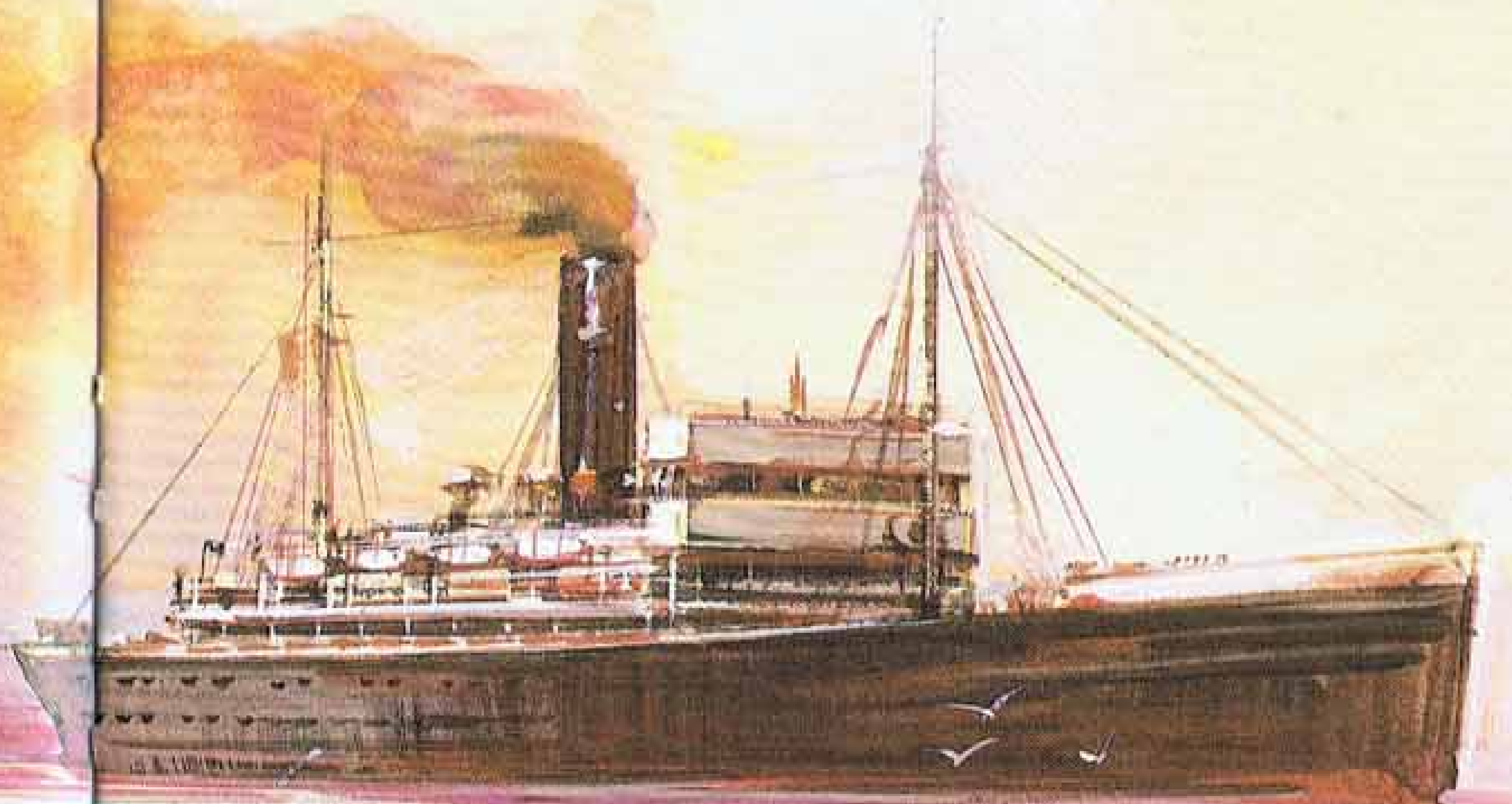
لَمَحَ ماهون فَجْأَةً سَفينَةً بُخارِيَّةً بَعيدَةً. وأَسْرَعَ القُبْطانُ يَقولُ: «لَعَلَّنا لا نَزالُ قادِرينَ على إنْقاذِها.»

رَفَعْنا عَلَمَيْنِ ، ويَعْني ذٰلِكَ في الإشاراتِ البَحْرِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ أَنَّ سَفينَتَنا تَحْتَرِقُ ، وأَنَّنا بِحاجَةٍ إلى عَوْنٍ فَوْرِيٍّ. وسُرْعانَ ما رَأَيْنا السَّفينَةَ البُخارِيَّةَ تَشْرَعُ في الاقْتِرابِ مِنّا ، وهي تُرْسِلُ إشاراتٍ تُفيدُ أَنَّها مُقْبِلَةٌ لِنَجْدَتِنا.

وبَعْدَ نِصْفِ ساعَةٍ كانَتِ السَّفينَةُ البُخارِيَّةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ مِنّا ، ففَقَدْنا جَميعًا السَّيْطَرَةَ على أَعْصابِنا ورُحْنا نَصيحُ مَعًا صِياحًا مَذْعورًا قائلينَ : «لَقَدْ نُسِفْنا !»

وَقَفَ رَجُلٌ يَعْتَمِرُ خوذَةً بَيْضاءَ على ظَهْرِ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ ورَدَّ عَلَيْنا صائِحًا : «لا بَأْسَ ! لا بَأْسَ !» ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ وابْتَسَمَ ، وكَأَنَّهُ يُحاوِلُ تَهْدِئَةَ أَطْفالٍ مَذْعورينَ .

اِقْتَرَبَ مِن سَفينَتِنا زَوْرَقٌ يَحْمِلُ ضابِطًا. صَعِدَ الضّابِطُ إلى سَفينَتِنا ، وأَلْقى نَظْرَةً واحِدَةً على الحُطامِ حَوْلَهُ ، وقالَ : «يا أَوْلادُ ، خَيْرٌ لَكُمْ أنْ تَتْرُكوا السَّفينَةَ .»



لَزِمْنا الصَّمْتَ ، في حينَ راحَ الضّابِطُ يَتَحَدَّثُ جانِبًا مَعَ قُبْطانِنا . ولَمْ يَبْدُ أنّ الرَّجُلَيْنِ كانا مُتَّفِقَيْنِ في الرَّأْيِ . ثُمَّ اتَّجَها كِلاهُما بالزَّوْرَقِ إلى السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ .

عادَ القُبْطانُ بَعْدَ حينٍ ، فأَنْبَأَنا أنّ قُبْطانَ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ وافَقَ بَعْدَ عَناءٍ أنْ يَقْطُرَنا إلى حَيْثُ نَحْنُ ذاهِبونَ .

بَدا قُبْطانُنا مُنْفَعِلًا ومُتَحَمِّسًا ، فَقَدْ رَفَعَ قَبْضَتَهُ عالِيًا وراحَ يَهُزُّها ويَصيحُ في وَجْهِ ماهون قائِلًا : «سَنَنْجَحُ !» ولُذْنا جَميعُنا بِصَمْتٍ مُطْبَقٍ .

عِنْدَ الظَّهيرَةِ انْطَلَقَتِ السَّفينَةُ البُخارِيَّةُ تَعْلو الأَمْواجَ بِزَهْوٍ وخُيَلاءَ ، وانْدَفَعَ ما بَقِيَ مِن سَفينَتِنا العَجوزِ مَرْبوطًا إلى نِهايَةِ حَبْلِ قَطْرٍ طَويلٍ .

في العاشِرَةِ من مَساءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَقَعَتْ عُيونُنا ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، على النّارِ ، مُنْذُ أنْ بَدَأْنا بِمُكافَحَتِها . فَقَدْ أَسْهَمَتْ سُرْعَةُ السَّفينَةِ القاطِرَةِ على تَهْوِيَةِ النّارِ . بَرَزَتْ شُعْلَةٌ زَرْقاءُ في مُقَدِّمَةِ السَّفينَةِ ، وانْتَصَبَتْ هُناكَ تَرْتَعِشُ . ثُمَّ بَرَزَتْ أَلْسِنَةٌ حَمْراءُ تَلْتَهِمُ ما تَبَقّى مِن سَطْحِ سَفينَتِنا . وكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ رَأى أَلْسِنَةَ اللَّهَبِ تِلْكَ ، فَأَنْبَأْتُ ماهون بِالأَمْرِ فَوْرًا .

قالَ : « اللُّعْبَةُ انْتَهَتْ إذًا . عَلَيْنا أنْ نُوْقِفَ القَطْرَ ، وإلّا احْتَرَقَتِ السَّفينَةُ مِن جَوانِبِها كُلِّها قَبْلَ أنْ نَجِدَ وَقْتًا لِهَجْرِها . »

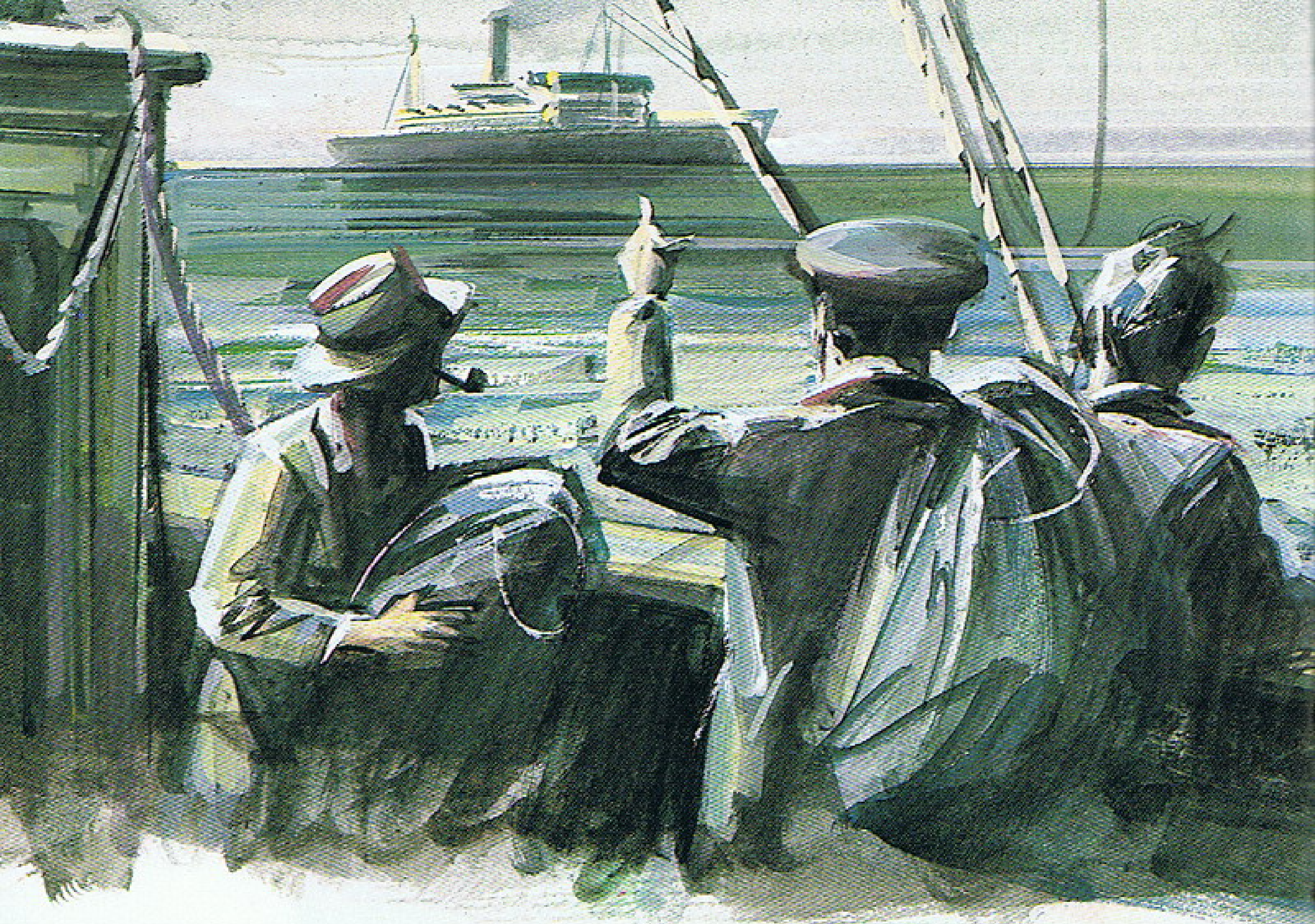
لَمْ نَسْتَطِعْ جَذْبَ انْتِباهِ أولئِكَ الّذينَ على مَتْنِ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ لا بِاسْتِعْمالِ الأَجْراسِ ولا بِالصِّياحِ . فَلَمْ يَكُنْ أَمامَنا أنا وماهون أَخيرًا إلّا أنْ نَزْحَفَ إلى مُقَدِّمَةِ السَّفينَةِ ونَقْطَعَ حَبْلَ القَطْرِ بِفَأْسٍ .

اِسْتَدارَتِ السَّفينَةُ البُخارِيَّةُ عِنْدَما اكْتَشَفَتْ ما حَدَثَ واقْتَرَبَتْ مِنّا .

وَقَفْنا جَميعُنا مُتَلاصِقينَ نُراقِبُها ، وقَدْ وَضَعَ كُلٌّ مِنّا أَمامَهُ صُرَّةً صَغيرَةً جَمَعَ فيها حاجاتِهِ .

فَجْأَةً انْبَعَثَ مِن جانِبَيْ سَفينَتِنا لَهَبٌ مَخْروطِيُّ الشَّكْلِ بَسَطَ في البَحْرِ الأَسْوَدِ حَوْلَنا دائِرَةً مِن نورٍ . وغَمَرَ الضَّوْءُ السَّفينَتَيْنِ المُتَجاوِرَتَيْنِ . وكانَ القُبْطانُ بيرْد يَجْلِسُ وَحْدَهُ مُنْزَوِيًا صامِتًا .

صَرَخَ قُبْطانُ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ قائِلًا : « هَيّا ! أَسْرِعوا ! إنَّ مَعي أَكْياسَ بَريدٍ عَلَيَّ أنْ أُوْصِلَها في وَقْتِها . سَأَحْمِلُكُمْ مَعي إلى سِنْغافورة ، أَنْتُمْ وقَوارِبَكُمْ الصَّغيرَةَ . »



نَهَضَ القُبْطانُ بِبُرْدٍ بِبُطْءٍ ، وتَقَدَّمَ على مَهْلٍ إلى جانِبِ السَّفينَةِ ، وصاحَ : «شُكْرًا ! لا ! واجِبُنا يُحَتِّمُ عَلَيْنا أنْ نَرى نِهايَةَ السَّفينَةِ .»

زَعَقَ قُبْطانُ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ قائِلًا : «لا أَسْتَطيعُ أنْ أَتَأَخَّرَ. قُلْتُ لَكَ إنَّ مَعي أَكْياسَ بَريدٍ ، وهي كما تَعْلَمُ مُسْتَعْجَلَةٌ .»

«لا بَأْسَ ، يا سَيِّدي. سَنَتَدَبَّرُ أَمْرَنا .»

«إلى اللِّقاءِ إذًا ، سأَنْقُلُ إلى سُلُطاتِ سِنغافورَةَ حالَكُمْ .»

لَوَّحَ قُبْطانُ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ بِيَدِهِ . وأَنْزَلَ رِجالُنا صُرَرَهُمْ بِبُطْءٍ ، بَعْدَ أنْ كانوا قَدْ رَفَعوها اسْتِعْدادًا لِلرَّحيلِ . اِنْطَلَقَتِ السَّفينَةُ البُخارِيَّةُ ، وسُرْعانَ ما خَرَجَتْ مِن دائِرَةِ الضَّوْءِ الّتي أَحْدَثَتْها نارُنا ، واخْتَفَتْ في الظَّلامِ .

ذَكَّرَنا القُبْطانُ بِصَوْتٍ رَفيقٍ أنّ واجِبَنا يُحَتِّمُ عَلَيْنا أنْ نُحاوِلَ إنْقاذَ ما أمْكَنَ مِن مُعَدّاتِ السَّفينَةِ. وهٰكَذا بَيْنَما كانَ جانِبا السَّفينَةِ يَشْتَعِلانِ رُحْنا نَحْنُ نَشْتَغِلُ.

كانَ في عَنابِرِ السَّفينَةِ مُعَدّاتٌ وحاجاتٌ كَثيرَةٌ، منها قُماشُ أشْرِعَةٍ ولَفّاتُ حِبالٍ ومَوازينُ بَحْرِيَّةٌ مُتَنَوِّعَةٌ. ولَقَدْ رَمَيْنا جانِبًا كَبيرًا مِن هٰذِهِ المُعَدّاتِ والحاجاتِ في البَحْرِ في أثْناءِ انْشِغالِ القُبْطانِ عنّا. وأنْزَلْنا الباقِيَ إلى زَوارِقِ النَّجاةِ الّتي كانَتْ قَدْ رُبِطَتْ إلى جانِبِ السَّفينَةِ.

عِنْدَما أتْمَمْنا واجِباتِنا نَزَلْنا إلى القَوارِبِ في انْتِظارِ الأمْرِ بِهَجْرِ السَّفينَةِ. لٰكِنَّ الأمْرَ لَمْ يُعْطَ.



أَخيرًا صَرَخْتُ في الرِّجالِ الّذينَ كانوا لا يَزالونَ على مَتْنِ السَّفينَةِ قائِلًا: «نَحْنُ جاهِزونَ!» فامْتَدَّ رَأْسُ أَحَدِ الرِّجالِ، وصاحَ: «يَقولُ القُبْطانُ: حَسَنًا، أَبْقوا الزَّوارِقَ بَعيدَةً عَنِ السَّفينَةِ.»

مَرَّتْ ثَلاثونَ دَقيقَةً، كانَ الرِّجالُ التّابِعونَ لي في أَثْنائِها مُتَوَتِّري الأَعْصابِ وعلى حافَةِ الانْهِيارِ. فَقَدْ كانَتِ النّارُ تَزْدادُ سوءًا. وباتَ يُخْشى مِنِ امْتِدادِها إلى زَوارِقِ النَّجاةِ أَيْضًا.



ثُمّ سَمِعْنا فَجْأَةً قَعْقَعَةً مُرْعِبَةً ، وأَصْواتَ سَلاسِلَ حَديدِيَّةٍ ، ورَأَيْنا مَلايينَ الشَّراراتِ تَتَطايَرُ مِن جانِبَيِ السَّفينَةِ. وسَقَطَتْ مِرْساتا السَّفينَةِ والسَّلاسِلُ في البَحْرِ ، وهي تَتَوَهَّجُ نارًا ، وغاصَتْ في الأَعْماقِ. اِهْتَزَّتِ السَّفينَةُ اهْتِزازًا عَنيفًا ، وبَدا أنّ أَلْسِنَةَ النّيرانِ قَدْ ضاعَفَتْ نَشاطَها. ثُمّ سَقَطَ الصّاري الكَبيرُ في السَّفينَةِ كَما تَسْقُطُ شَجَرَةٌ عِمْلاقَةٌ تَحْتَ ضَرَباتِ فَأْسِ الحَطّابِ.

صَرَخْتُ مِن زَوْرَقي مُجَدَّدًا. لٰكِنّي لَمْ أَتَلَقَّ جَوابًا ، فتَسَلَّقْتُ كالْمَجنونِ جانِبَ السَّفينَةِ عائِدًا إلى مَتْنِها.

كانَتِ الحَرارَةُ هُناكَ هائِلَةً ، وكانَ ضَوْءُ النّارِ قَدْ حَوَّلَ لَيْلَ السَّفينَةِ إلى نَهارٍ. ورَأَيْتُ مَشهَدًا مُذْهِلًا. رَأَيْتُ القُبْطانَ مُسْتَلْقِيًا على أَريكَةٍ سُحِبَتْ مِنَ المَقْصورَةِ ، وقَدِ اسْتَغْرَقَ في نَوْمٍ عَميقٍ. وكانَتِ الأَضْواءُ تَتَراقَصُ فَوْقَ وَجْهِهِ المُتْعَبِ. أمّا فَريقُ البَحّارَةِ التّابِعُ له فَقَدْ رَأَيْتُهُمْ يَجْلِسونَ على الأَرْضِ حَوْلَ صُنْدوقٍ مَفْتوحٍ ، يَأْكُلونَ الخُبْزَ والجُبْنَ ويَشْرَبونَ.

وبَدا البَحّارَةُ بَيْنَ أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ المُتَراقِصَةِ عُصْبَةً مِنَ القَراصِنَةِ اليائِسينَ. فَلَقَدْ كانَ كُلٌّ واحِدٍ منهم يَحْمِلُ عَلامَةً مِن عَلاماتِ المَعْرَكَةِ : ضِمادَةً لِلرَّأْسِ ، أو حَمّالَةً لِلذِّراعِ ، أو رُقْعَةً وَسِخَةً حَوْلَ رُكْبَةٍ نازِفَةٍ. لٰكِنْ بَيْنَ ساقَيْ كُلٍّ منهم جُبْنٌ وشَرابٌ.

زَعَقْتُ بِصَوْتٍ رَهيبٍ غَيْرَ مُصَدِّقٍ ما أَرى. فانْتَصَبَ ماهون واقِفًا على قَدَمَيْهِ وقالَ بِوَقارٍ : «آخِرُ وَجْبَةٍ لنا على مَتْنِ السَّفينَةِ. لا مَعْنى لِأَنْ نَتْرُكَ كُلَّ هٰذا الطَّعامِ وَراءَنا.»





لَوَّحَ ماهون عِنْدَئِذٍ بِقِنِّينَةِ شَرابٍ في اتِّجاهِ القُبْطانِ النّائِمِ ، وقالَ : «أَكَلَ كَثيرًا ونامَ . لَمْ يَعْرِفْ طَعْمَ النَّوْمِ مُنْذُ أَيّامٍ ، ولَنْ يَكونَ نَوْمٌ في زَوارِقِ النَّجاةِ .»

قُلْتُ : «لَنْ يَكونَ عِنْدَكُمْ زَوارِقُ نَجاةٍ إذا لَمْ تَتَوَقَّفوا حالًا عَن عَبَثِكُمْ .» ثُمَّ انْتَفَضْتُ غاضِبًا ، ومَشَيْتُ نَحْوَ القُبْطانِ فأَيْقَظْتُهُ بِرِفْقٍ قائِلًا : «عَلَيْنا أَنْ نَتْرُكَ السَّفينَةَ الآنَ يا سَيِّدي !»

رَفَعَ القُبْطانُ نَفْسَهُ بِبُطْءٍ وأَلَمٍ ، ونَظَرَ إلى أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِهُدوءٍ قائِلًا : «الأَصْغَرُ سِنًّا أَوَّلًا .»

وَقَفَ بَحّارٌ شابٌّ وهو يَمْسَحُ فَمَهُ بِطَرَفِ كُمِّهِ ، وتَسَلَّقَ حافَةَ السَّفينَةِ . ثُمَّ تَبِعَهُ آخَرونَ . وبَيْنَما كانَ بَحّارٌ يَتَسَلَّقُ حافَةَ السَّفينَةِ تَوَقَّفَ لَحْظَةً وأَفْرَغَ زُجاجَةَ شَرابٍ في مَعِدَتِهِ ، ثُمَّ رَمى بِالزُّجاجَةِ رَمْيَةً هائِلَةً إلى النّارِ صارِخًا : «خُذي هٰذِهِ !»

هَجَرْنا السَّفينَةَ بَعْدَ سِتَّ عَشْرَةَ ساعَةً مِن حُدوثِ الانْفِجارِ. كانَ ماهون قائِدًا لِلزَّوْرَقِ الأَوْسَطِ، وكُنْتُ أنا قائِدًا لِلزَّوْرَقِ الأَصْغَرِ. أمّا القُبْطانُ فَقَدْ أَخَذَ الزَّوْرَقَ الأَكْبَرَ. وهٰكَذا تَوَلَّيْتُ مُهِمَّةَ القِيادَةِ لِلمَرَّةِ الأولى. كانَ مَعي رَجُلانِ، وعُلْبَةُ بَسْكَويتٍ، وبَعْضُ اللُّحومِ المُعَلَّبَةِ، ومَطَرَةُ ماءٍ.

لَمْ نُبْحِرْ في قَوارِبِنا فَوْرًا، فَقَدْ تَمَهَّلْنا لِنَرى نِهايَةَ سَفينَتِنا. أَخَذَتِ السَّفينَةُ تَحْتَرِقُ كُلُّها احْتِراقًا مَجْنونًا، وبَدَتْ كَأَنَّها مَحْرَقَةٌ هائِلَةٌ أُشْعِلَتْ في جَسَدِ مُحارِبٍ عَظيمٍ. وتَراجَعَ الظَّلامُ أَمامَ أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ المُتَصاعِدَةِ. وعِنْدَما طَلَعَ الصَّباحُ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ مِنَ السَّفينَةِ غَيْرُ هَيْكَلِها المُتَفَحِّمِ يَعومُ تَحْتَ سَحابَةٍ مِن دُخانٍ.

وبَيْنَما كُنّا نَتَهَيَّأُ لِلانْطِلاقِ رَأَيْنا كُتْلَةً مِن نارٍ تَنْدَفِعُ فَجْأَةً مِن وَسَطِ السَّفينَةِ. ثُمّ رَأَيْنا السَّفينَةَ تَنْقَلِبُ على جَنْبِها وتَغوصُ في مِياهِ المُحيطِ. ورافَقَ ذٰلِكَ عَزيفٌ صاخِبٌ وكَأَنَّما غاصَتْ في البَحْرِ جَمْرَةٌ عِمْلاقَةٌ هائِلَةٌ.

اِتَّجَهْنا شَمالًا صَوْبَ جَزيرَةِ جاوا. وهَبَّتْ عَلَيْنا ريحٌ، فَنَصَبْتُ شِراعًا، اسْتَعَنْتُ في رَفْعِهِ بِمِجْذافٍ إضافِيٍّ.

وكانَ لَدَيْنا تَعْليماتٌ بِالبَقاءِ مُتَقارِبينَ ما أَمْكَنَنا ذٰلِكَ، وبِالاتِّجاهِ شَمالًا. لٰكِنْ قَبْلَ حُلولِ الظَّلامِ اكْفَهَرَّتِ السَّماءُ وتَساقَطَتِ الأَمْطارُ بِغَزارَةٍ. وعِنْدَ انْقِشاعِ الغُيومِ وَجَدْتُ أَنّ زَوْرَقَنا الصَّغيرَ كانَ وَحيدًا، لا أَثَرَ حَوْلَهُ لِلزَّوْرَقَيْنِ الآخَرَيْنِ. على أنّي لَمْ أَكُنْ خائِفًا؛ كُنْتُ شابًّا وقَوِيًّا، وكانَ حَنيني إلى الشَّرْقِ قَدْ ساعَدَني على أنْ أَتَحَمَّلَ كُلَّ تِلْكَ الأَيّامِ واللَّيالي.

عِنْدَ سُكونِ الرّيحِ كانَ عَلَيْنا أنْ نُجَذِّفَ ، وكانَ الزَّوْرَقُ يَبْدو آنَذاكَ ساكِنًا في مَكانِهِ لا يَتَحَرَّكُ. أَتَذَكَّرُ الحَرارَةَ والأَمْطارَ الغَزيرَةَ المُفاجِئَةَ ، وأَتَذَكَّرُ كَيْفَ كُنْتُ أُجَذِّفُ سِتَّ عَشْرَةَ ساعَةً في اليَوْمِ في بَحْرٍ صامِتٍ. أَتَذَكَّرُ مَلامِحَ مُساعِدَيَّ المُرْهَقَيْنِ المُكْتَئِبَيْنِ ، وكَيْفَ أنّي أَحْسَسْتُ أنَّ شَبابي سَيُخْرِجُني مِن كُلِّ تِلْكَ الأَخْطارِ وأَهْوالِ البِحارِ. عَرَفْتُ في ذٰلِكَ الوَقْتِ سَعادَةً غَريبَةً ، فَقَدْ كُنْتُ أَعيشُ على قَناعَةٍ مُظَفَّرَةٍ أنّي سَأَنْتَصِرُ على البَحْرِ وأَحْيا.





وإليكُمْ كيْفَ أَتذَكَّرُ الشَّرْقَ ! لا أَزالُ أَراهُ زَوْرَقًا صَغيرًا يَقْتَرِبُ من سِلْسِلَةٍ مِنَ الجبالِ الزَّرْقاءِ تَشْرَئِبُّ قِمَمُها الأُرْجُوانِيَّةُ إلى السَّماءِ. أَرى خَليجًا واسِعًا يُوْمِضُ في الظَّلامِ. وأَرى ضَوْءًا أَحْمَرَ بَعيدًا يَشْتَعِلُ خَلْفَ الأَرْضِ المُعْتِمَةِ. وأَتذَكَّرُ اللَّيْلَ الدّافِئَ الوَديعَ ، ونَسَماتٍ تَأْتي عَبْرَ سُكونِ اللَّيْلِ حامِلَةً عَبَقَ الأَزْهارِ وأَريجَ الأَشْجارِ ، فإذا هي أَوَّلُ ما يُداعِبُ وَجْهي من نَسَماتِ الشَّرْقِ. ذلِكَ لا أَنْساهُ أَبَدًا.

جَذَّفْنا إحْدى عَشْرَةَ ساعَةً قَبْلَ وُصولِنا تِلْكَ اللَّيْلَةَ إلى البَرِّ. رَأَيْنا الضَّوْءَ الأَحْمَرَ واتَّجَهْنا نَحْوَهُ ، وقَدْ أَدْرَكْنا أَنّنا نَتَّجِهُ إلى ميناءٍ صَغيرٍ. وعِنْدَما وَصَلْنا إلى رَصيفِ الميناءِ كانَ التَّعَبُ يُوْشِكُ أَنْ يَقْتُلَنا. أَفْلَتَ الرَّجُلانِ اللَّذانِ مَعي مَجاذيفَهُما وارْتَمَيا في قاعِ الزَّوْرَقِ كما لو كانا مَيِّتَيْنِ.

رَبَطْتُ الزَّوْرَقَ إلى الرَّصيفِ ، وجَلَسْتُ هُناكَ في حالَةٍ مِنَ الإعْياءِ لا وَصْفَ لها. ولٰكِنّي كُنْتُ سَعيدًا. أَحْسَسْتُ أَنّي حَقَّقْتُ انْتِصارًا شَخْصِيًّا ، وكَأَنَّما كُنْتُ قائِدًا لِجَيْشٍ مُظَفَّرٍ.

أَعادَني مِن أَحْلامِ اليَقَظَةِ صَوْتُ مَجاذيفَ تَضْرِبُ المِياهَ ، فقَفَزْتُ واقِفًا أُلَوِّحُ بِيَدَيَّ لِلقارِبِ المُقْتَرِبِ وأُنادي بِأَعْلى صَوْتي مُحَيِّيًا.

جاءَني صَوْتُ القُبْطانِ يَرُدُّ على تَحِيَّتي. لَقَدْ سَبَقْتُ زَوْرَقَهُ الكَبيرَ بِثَلاثِ ساعاتٍ. وكُنْتُ سَعيدًا أَنّي رَأَيْتُ وَجْهَهُ وسَمِعْتُ صَوْتَهُ. هَتَفَ بِصَوْتٍ مُتْعَبٍ مُرْتَعِشٍ قائِلًا : «أَهٰذا أَنْتَ يا مارْلو؟»

صِحْتُ : «حاذِرْ حافَةَ الرَّصيفِ ، يا سَيِّدي.»

تَقَدَّمَ الزَّوْرَقُ على مَهْلٍ ثُمَّ تَوَقَّفَ إلى جانِبِ الرَّصيفِ. نَظَرْتُ إلى القُبْطانِ فرَأَيْتُ عَجوزًا مُحْدَوْدِبَ الظَّهْرِ. أَمّا رِجالُهُ فكانوا جَميعًا في باطِنِ الزَّوْرَقِ يَنامونَ نَوْمًا عَميقًا.

تَمْتَمَ القُبْطانُ : «لَقَدْ واجَهْنا أَوْقاتًا عَصيبَةً جِدًّا. ماهون وَراءَنا – لَيْسَ بَعيدًا عَنّا.»

كُنّا نَتَحَدَّثُ هَمْسًا وكَأَنَّنا نَخْشى إيْقاظَ رِجالِنا ، مَعَ أنَّ المَدافِعَ والزَّلازِلَ لَمْ تكُنْ لِتُوْقِظَهُمْ في ذٰلِكَ الوَقْتِ.



تَلَفَّتُّ حَوْلي وأنا أَتَحَدَّثُ فوَقَعَتْ عَيْناي على ضَوْءٍ ساطِعٍ بَعيدٍ يَشُقُّ لَيْلَ البَحْرِ ويَقْتَرِبُ مِنَ الشّاطِئِ سَريعًا. قُلْتُ: «هٰذِهِ سَفينَةٌ بُخارِيَّةٌ تَتَّجِهُ إلى الخَليجِ.»

قالَ العَجوزُ المُتْعَبُ: «أَرْجو أنْ تكونَ سَفينَةً إنْكِليزيّةً. ولَعَلَّها تَحْمِلُنا إلى ميناءٍ نَتَدَبَّرُ أَمْرَنا فيه.»

لَمْ أَسْتَطِعْ إيْقاظَ بَحّارٍ من البَحّارَيْنِ في زَوْرَقي إلّا بَعْدَ أنِ اسْتَعْمَلْتُ يَدَيَّ وقَدَمَيَّ دَفْعًا ورَفْسًا. ورُحْتُ أنا والرَّجُلُ نُجَذِّفُ صَوْبَ السَّفينَةِ البُخارِيَّةِ.



وَجَدْنا قُبْطانَ السَّفينَةِ يَلْعَنُ حَظَّهُ الّذي أَوْصَلَهُ إلى خَليجٍ لا ضَوْءَ فيه. لٰكِنَّهُ، على الرُّغْمِ من غَضَبِهِ، وافَقَ على نَقْلِنا في صَباحِ اليَوْمِ التّالي إلى ميناءٍ أَكْبَرَ.

عُدْنا لِنَنْقُلَ النَّبَأَ السَّعيدَ، ورَبَطْنا الزَّوْرَقَ ونِمْنا.

اِسْتَيْقَظْتُ فوَجَدْتُ الصَّمْتَ مُخَيِّمًا كما كانَ مُخَيِّمًا عِنْدَما أَخْلَدْتُ إلى النَّوْمِ. فَتَحْتُ عَيْنَيَّ وبَقِيْتُ ساكِنًا لا رَغْبَةَ لي في الحَراكِ. ثُمَّ بَدَأْتُ أَعي تَدْريجًا ما حَوْلي، فكانَ أَنْ أَدْرَكْتُ أَنَّ رَصيفَ الميناءِ يَعِجُّ بِالنّاسِ.

حَدَّقْتُ في النّاسِ المُتَجَمِّعينَ، فرَأَيْتُ صَفًّا مِن عُيونٍ سَوْداءَ ووُجوهٍ برونْزِيَّةٍ وسَمْراءَ وصَفْراءَ خالِيَةٍ من كُلِّ تَعْبيرٍ. وكانَ النّاسُ يَنْظُرونَ إلى القَوارِبِ والرِّجالِ النّائِمينَ الّذينَ وَصَلوا مَعَ اللَّيْلِ. وبَدا كُلُّ شَيْءٍ ساكِنًا لا يَتَحَرَّكُ وكَأَنَّ النَّسَماتِ مِن حَوْلِنا حَبَسَتْ أَنْفاسَها.

نَهَضْتُ مُسْرِعًا، فبَدَرَ عن الجُمْهورِ المُراقِبِ حَرَكَةٌ خَفيفَةٌ، ثُمَّ عادَ كُلُّ شَيْءٍ ساكِنًا كما كانَ.

أَذْكُرُ تِلْكَ الوُجوهَ، وأَذْكُرُ الخَليجَ الواسِعَ، والزَّوارِقَ الثَّلاثَةَ بِحُمولَتِها مِنَ الرِّجالِ الفاقِدي الوَعْيِ. كانَ رَأْسُ القُبْطانِ مُدَلًّى على صَدْرِهِ وكَأَنَّهُ لن يَسْتَيْقِظَ أَبَدًا. وكانَ وَجْهُ ماهون العَجوزِ مُنْقَلِبًا صَوْبَ السَّماءِ وكَأَنَّهُ أُصيبَ بِرَصاصَةٍ حَيْثُ كانَ مُمَدَّدًا.

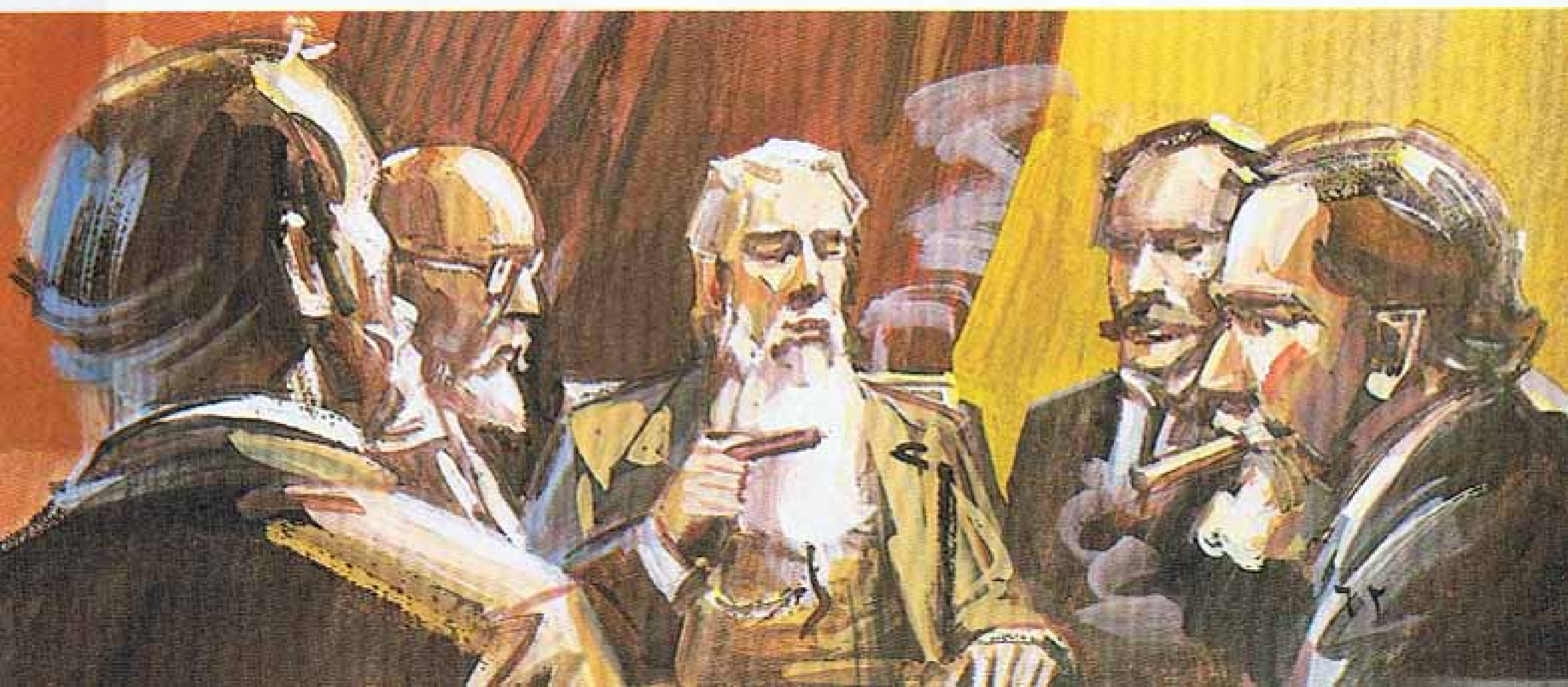
كانَ أَهْلُ الشَّرْقِ يَنْظُرونَ مُحَدِّقينَ في ذٰلِكَ المَشْهَدِ، لٰكِنَّهُم لَمْ يُقْدِموا على ما مِنْ شَأْنِهِ إقْلاقُ الرِّجالِ النّائِمينَ الآتينَ مِنَ الغَرْبِ.

ذٰلِكَ ما أَذْكُرُهُ مِنَ الشَّرْقِ. آهِ! ما أَجْمَلَ تِلْكَ الأَيّامَ! ما أَجْمَلَ تِلْكَ الأَيّامَ! الشَّبابُ والبَحْرُ. البَحْرُ الوديعُ القَوِيُّ، الّذي يَهْمِسُ لَكَ حينًا ويُزَمْجِرُ حينًا آخَرَ، فيَكادُ يَقْطَعُ لَكَ أَنْفاسَكَ.

نِلْنا كُلُّنا مِنَ الحَياةِ قِسْطًا وَفيرًا: المالَ والحُبَّ والسُّلْطانَ وكُلَّ ما يَسْعى إِلَيْهِ الإِنْسانُ فَوْقَ اليابِسَةِ. لٰكِنْ خَبِّروني، أَلَمْ تَكُنْ أَجْمَلَ أَيّامِنا تِلْكَ الّتي كُنّا فيها شَبابًا ورُوّادَ بِحارٍ، شَبابًا لا نَمْلِكُ شَيْئًا، نَرودُ بِحارًا لا تُعْطي شَيْئًا؟ أَلَيْسَتْ تِلْكَ الأَيّامُ هي الّتي تَفْتَقِدونَها جَميعًا؟

هَزَزْنا جَميعًا رُؤوسَنا نُوافِقُهُ الرَّأْيَ: رَجُلُ المالِ، رَجُلُ المُحاسَبَةِ، رَجُلُ القانونِ، وأَنا. وكانَتِ الطّاوِلَةُ البَرّاقَةُ تَعْكِسُ صورَةَ وُجوهِنا الّتي حَفَرَتْها تَجاعيدُ السِّنينَ، وُجوهِنا الّتي تَرَكَ الكَدُّ والأَلاعيبُ والنَّجاحُ والحُبُّ فيها آثارًا؛ وتَعْكِسُ صورَةَ عُيونِنا المُجْهَدَةِ الّتي كانَتْ لا تَزالُ تَبْحَثُ بِلَهْفَةٍ لِنَيْلِ شَيْءٍ مِن هٰذِهِ الحَياةِ.

ما كُنّا نَرْجوهُ مِن دُنْيانا وَلّى مَعَ الشَّبابِ المُوَلّي، ومَعَ ما وَلّى من قُوَّةِ الأَبْدانِ وسِحْرِ الأَحْلامِ.





جوزف كُونْراد

جوزف كُونْراد بولَنْديُّ الأَصْلِ ، وُلِدَ في الثّالِثِ مِنْ كانونَ الأَوَّلِ (ديسمبر) ١٨٥٧ . قَضى طُفولَتَهُ في روسيا مَعَ والِدَيْهِ المَنْفِيَّيْنِ ، وقَدْ سَبَّبَتْ صُعوباتُ المَعيشَةِ هُناكَ مَوْتَ والِدَتِهِ ، ثُمَّ - بَعْدَ العَوْدَةِ إلى بولَنْدا - مَوْتَ والِدِهِ. وُضِعَ كُونْراد تَحْتَ وِصايَةِ عَمِّهِ الّذي أَرْسَلَهُ إلى مَدْرَسَةٍ في مَدينَةِ كراكوف ، تَلَقَّنَ فيها الأَلْمانِيَّةَ والفَرَنْسِيَّةَ واطَّلَعَ عَلى تَرْجَماتٍ بولَنْدِيَّةٍ لِرَوائِعِ الآدابِ العالَمِيَّةِ ومِنْ بَيْنِها آثارُ كِبارِ الأُدَباءِ الإنْكليزِ. أَقْنَعَ عَمَّهُ بِالسَّماحِ لَهُ بِالعَمَلِ كَبَحّارٍ ، فَذَهَبَ ، عامَ ١٨٧٤ - وكانَ في السّابِعَةَ عَشْرَةَ - إلى مَرْسيليا وانْضَمَّ إلى إحْدى السُّفُنِ التِّجارِيَّةِ.

أَتاحَ لَهُ عَمَلُهُ في البَحْرِ السَّفَرَ إلى مُخْتَلِفِ أَنْحاءِ العالَمِ ، فَقَدْ أَخَذَتْهُ الأَسْفارُ إلى أَميركا الجَنوبِيَّةِ والشَّرْقِ الأَقْصى والهِنْدِ وأُسْتراليا وإفْريقيا. وأَمَدَّتْهُ خِبْرَتُهُ في تِلْكَ الأَماكِنِ القَصِيَّةِ بِالمادَّةِ الّتي شَكَّلَتْ خَلْفِيّاتٍ لِما كَتَبَهُ مِنْ قِصَصٍ ورِواياتٍ فيما بَعْدُ. ذَهَبَ إلى إنْكلترا ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، عامَ ١٨٧٨ ، وبَدَأَ يَعْمَلُ في سُفُنٍ تِجارِيَّةٍ بَريطانِيَّةٍ بِالرُّغْمِ مِنْ عَدَمِ إتْقانِهِ اللُّغَةَ الإنْكليزِيَّةَ أَوَّلَ الأَمْرِ. ومَعَ تَقَدُّمِ السِّنينَ تَمَكَّنَ مِنَ اللُّغَةِ الإنْكليزِيَّةِ وأَجادَها ، واكْتَسَبَ الجِنْسِيَّةَ البَريطانِيَّةَ سَنَةَ ١٨٨٦ . بَعْدَ ذلِكَ بِأَرْبَعِ سَنَواتٍ قامَ بِرِحْلَةٍ إلى الكونْغو كانَ لَها أَثَرٌ سَيِّئٌ عَلى صِحَّتِهِ ، فَعادَ وقَرَّرَ الإقامَةَ الدّائِمَةَ في إنْكلترا.

كَرَّسَ جوزف كُونْراد بَقِيَّةَ حَياتِهِ لِتَأْليفِ القِصَصِ القَصيرَةِ والرِّواياتِ، وسَرْعانَ ما اكْتَسَبَ مَكانَةً مَرْموقَةً بَيْنَ كِبارِ أُدَباءِ اللُّغَةِ الإنْكليزِيَّةِ. وَمِنْ أَشْهَرِ آثارِهِ:

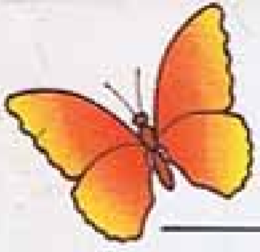
The Nigger of the Narcissus (١٨٩٧)، Lord Jim (١٩٠٠)، Heart of Darkness (١٩٠٢)، Youth (١٩٠٢)، Typhoon (١٩٠٣)، Nostromo (١٩٠٤)، The Secret Agent (١٩٠٧)، Under Western Eyes (١٩١١)، Chance (١٩١٤)، Within the Tides (١٩١٥)، Victory (١٩١٥)، The Rescue (١٩٢٠).

تُوُفِّيَ كُونْراد بِنَوْبَةٍ قَلْبِيَّةٍ، سَنَةَ ١٩٢٤، وكانَ يَعْمَلُ عَلى رِوايَةٍ تَدورُ حَوْلَ عَوْدَةِ نابوليون مِنْ جَزيرَةِ إلْبا.



كتب الفراشة - القصص العالميّة

١ - الدُّكتور جيكل ومِستر هايْد
٢ - أوليڤَر تْويسْت
٣ - نِداء البَراري
٤ - موبي دِك
٥ - البَحّار
٦ - المخْطوف
٧ - شَبَح باسْكِرْڤيل
٨ - قِصَّة مَدينَتين
٩ - مونْفليت
١٠ - الشَّباب
١١ - عَوْدة المُواطِن
١٢ - الفُنْدق الكبير
١٣ - حَولَ العالَم في ثمانينَ يَومًا
١٤ - رِحْلَة إلى قَلْب الأرض
١٥ - كُنوز الملِك سُلَيْمان
١٦ - سايْلس مارْنَر
١٧ - شيْرلي
١٨ - رِحلات جَلِڤَر
١٩ - بعيدًا عن صَخب النّاس
٢٠ - مُغامَرات هَكلبري فين
٢١ - ديڤيد كوپرفيلد
٢٢ - بْليك هاوُس
٢٣ - بْلاك بْيُوتي



كتب الفراشة

القِصص العالميّة ١٠. الشّباب

اِخْتارَت **مكتبة لبنان ناشرون** أَرْوَعَ القِصص العالَمِيّة ، ونَقَلَتها إلى العَرَبيَّة مُبسَّطة ، مُراعِيَة الأَمانَة في النَّقل والمُحافَظة على جزالة الأُسْلوب العَربيّ وبَلاغته ، مَع تَشكيل كامِل وضَبْط دَقيق . وقد أَشْرَفَ عَلى هٰذه السِّلسلة خُبَراء دائِرَتي النَّشْر والمَعاجم في مكتبة لبنان ناشرون حتّى نُوفِّر للقارئ العربيّ إنْتاجًا فكريًّا مُتفوِّقًا مَظْهرًا ومَضْمونًا .



مكتبة لبنان ناشرون

